د. إبراهيم عوض

معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين

بحث موضوعي مفصّل

١٩٨٧

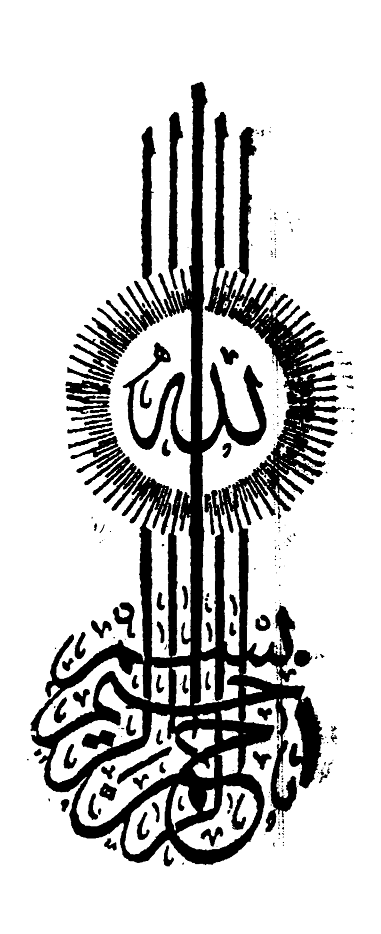
د. إبراهيم عوض

معركة الشعر الجاهلي

بين الرافعي وطه حسين

بحث موضوعي مفصّل

١٩٨٧


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى يمنى وعلاء الدين زهرة حياتى ، وقاهما الله من كل سوء ، وإلى زوجتى ، التى تقوم مشكورة بنسخ ما أكتب ، على ما فى ذلك من عنت وبرغم انشغالها فى بحثها العلمى .

مقدمة

فى الصفحات التالية عرض مفصل لقضية الشعر الجاهلى ، التى اثارها الدكتور طه حسين بكتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وهبت طائفة من النقاد والعلماء يردون عليه ويفندون منهجه وآراءه ، وكان على رأسهم المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، الذى ركزت الكلام عليه من بينهم هنا .

وقد حاولت بكل ما استطيع ان أعرض المسالة بالحياد العلمى المطلوب ، فلم اضع فى حسبانى نصرة أحد الطرفين على الآخر ومن ثم فقد وافقت كل واحد منهما على ما أعتقد أنه الصواب وخالفته فيما أحسب انه خطأ .

وقد يضيق بعض بهذا الموقف منى او ذاك ، بيد ان ذلك لم يكن فى بالى وأنا أكتب هذا البحث ، اذ كان شغلى الشاغل هو ارضاء الحق جل وعلا . والذى اعرفه اننى كتبته وانا راضى الضمير ، وفرغت منه وانا أيضا راضى الضمير . من هنا فلا على اذا رضى قوم او سخط آخرون ، فالمهم رضا ربى . فان رضى ، وهو غاية المراد ، وكان الذى بينى وبينه عامرا فلست ابالى ان كان الذى بينى وبين غيره خرابا .

اللهم تقبل عملى ، واجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة ، واضىء بصيرتى بنور الحق واليقين ، وثبت قدمى على صراطك المستقيم ، وامدنى بمدد من عندك ، انك يا مولاى نعم النصير !

متى وكيف بدأت معركة الشعر الجاهلى ؟

فى سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية من جامعة أهلية الى جامعة حكومية ، وفى تلك السنة نفسها (فى بداية العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) ابتــدأ الدكتور طه حسين يحاضر عن الشعــر الجاهلى محاضراته التى اصدرها بعد ذلك فى كتابه المشهور الذى أحدث ضجة هائلة اثر صدوره لما حواه من قضايا على أشد جانب من الخطورة ، وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، الذى انتهى امره الى ان صودرت نسخه من الأسواق ، ثم حذف منه مؤلفه فصلا واضاف اليه عدة فصول واعاد اصداره بعد ذلك بعنوان « فى الأدب الجاهلى » .

وما ان وقعت نسخة من الكتاب فى يد المرحوم مصطفى صادق الرافعى حتى كتب مقالة بعنــوان « قال انما اوتيته على علم ، بل هى فتنة » ، وهى مقالة طويلة استغرقت (فى الطبعة الثالثة من كتابه « تحت راية القرآن » ، ست عشرة صفحة من القطع الكبير ، ثم تتابعت مقالاته فى هذا الموضوع ، تلك المقــالات التى كانت عناوين معظمها عبارات من القرآن الكريم تدل على مضمونها العام والتى جمعها بعد ذلك فى كتاب له سماه «تحت راية القرآن». وهى تسمية ، كما ترى ، تشى بانه رحمه الله كان يرى انه بمقالاته هذه انما هو جندى يرفع راية القرآن ويدافع عنها وعنه .

والذى اعرفه انه رحمه الله كان أول من تناول بالنقد (فى مقالته المشار اليها آنفا) كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، اذ اصدرها اثر وقوع الكتاب فى يده ، ولا اظن انه كان قد مر وقت يذكر بين صدور الكتاب وبين مصيره الى يد الرافعى ، اذ لم يكد ينشر الرافعى مقــالته الثــانية عن الكتاب حتى « نهض (كما يقــول هو) العلماء كافة فى جميع المعــاهد الدينية فى اسيوط واسكندرية وطنطا ودمياط والزقازيق والقاهرة فحققوا الحاد استاذ الجامعة (يقصد طه حسين) وجهله وخطئه ، ثم ارسلوا البرقيات الى جلالة ملك مصر

ورياسة وزرائها ووزارة المعارف ونبهوا الأمة جمعاء ، فخفق البرق من كل جهات القطر بالاحتجاج على أستاذ الجامعة » (١) ، ومعنى هذا أنه لم يسبق الرافعي احـد آخر فى نقد الكتاب وتبيين ما فيه من هجـوم على القـرآن والاسلام وإلا لنهض العلماء نهضتهم هـذه قبل ذلك . وقد عـاد الأستاذ الرافعي رحمه الله فذكر فى مقالة تالية أنه أول من نبه الى ما فى كتاب طه حسين من الحاد ثم تبعه العلماء فى ذلك(٢) ، وهو ما يؤكد أن الرافعي كان هو السباق الى نقد كتاب طه حسين . هـذا ما استنتجته من سياق هـذه القضية وسير أحداثها ولا أعلم غيره ، فان ظهر أنى أخطأت رجعت عن رأيى .

على أن هذا شيء والقول بأن الرافعي أول من انتقد ما قال طه حسين عن الشعر الجاهلى شيء آخر ، فقد سبقه الى هذا الأستاذ عباس فضلى والأمير شكيب ارسلان (٣) . وقد ذكر المرحوم الرافعي انه كان يعلم أن طه حسين يلقى دروسه فى الشعر الجاهلي غير أنه لم يقف على شيء منها ، حتى نبهه مقال الأستاذ عباس فضلى ثم مقال الأمير شكيب ارسلان (٤) . ان كتاب « فى الشعر الجاهلي » لما يكن قد صـدر ، ومن ثمة كان النقد الذى وجهـه الأستاذان الفاضلان الى طه حسين منصبا على ما يقوله فى محاضراته(٥) . وقد دارت مقالة الأستاذ فضلى على ما انتهى اليه طه حسين من أنه « لا تأثير للوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي والجاهلى منه على الأخص ، وان ما وجد من الشـعر مشتملا على مبادىء للوثنية او اليهودية انما هو منسوس على من نسب اليهم ، وانه لم يكن موجودا فى عصرهم » ، وعلى

---

(١) تحت راية القرآن/مطبعة الاستقامة بالقاهرة/ط٣/١٩٥٣/ص ١٥٨ .

(٢) انظر ص ١٦٧ من من كتاب الرافعى ، وهو من مقالة بعنـوان « فلما أدركه الغرق » .

(٣) انظر مقـاليهما فى كتاب « تحت راية القرآن » /ص ٨٢١ — ٨٦ و٨٧ — ٩٦ على الترتيب .

(٤) انظر تحت راية القرآن/ص ٦٩ .

(٥) انظر تحت راية القرآن/ص ٨١ ، وص ٨٨ متنا وهامشا .

ما بنى عليه الأستاذ الدكتور هاتين النتيجتين من « ان الحكام المسلمين منعوا تداول كل شعر اشتمل على مبادىء هذه الديانات مما يخالف سنن الاسلام ومبادئه ومحوه جميعه ، وان أهل هذه الملل بعد سكون حركة الفتوحات واستتباب السلم وتيقظ الحركة الفكرية فى ميدان الأدب والعلم قد دفعهم تعصبهم لشعراء ملتهم السابقين الى التقول عليهم بما لم يقولوه ونسبة اشعار اليهم لم تكن من نسج بيانهم ولا هى من منتوجات عقولهم »(٦). كما دارت مقالة شكيب ارسلان ، التى ظهرت بعد مقالة الأستاذ فضلى على النقطة نفسها .

ليس الرافعى اذن أول من انتقد ما قاله طه حسين عن الشعر الجاهلي ، ولكنه فيما أعرف هو أول من تناول آراء طه حسين المكتوبة فى هذا الموضوع تناولا مستفيضا مفصلا ، لا فى مقالة واحدة بل فى عدة مقالات قلب فيها كتاب « فى الشعر الجاهلى » تقليبا ، واول من نبه الى ما فى الكتاب من آراء تتناقض من الايمان بالاسلام وكتابه ونبيه . ولا شك أن من تناولوا آراء طه حسين بعد ذلك قد استفادوا من هذه المقالات العميقة التى ترك فيها الرافعى اغرابه فى الأسلوب والفكرة والصورة وترك نفسه الى حد كبير على سجيتها ، فامتع ببيانه المتدفق وعلمه الرصين وتهكمه اللاذع ، وان لم يعن هذا اننا نوافقه على كل ما قاله .

وليس معنى هذا ان الرافعى لم يتناول راى طه حسين فى الشعر الجاهلى قبل أن يصدر كتابه عن هذا الشعر ، فقد كتب فى ذلك مقالات اربعا عناوينها كالآتى : « الى الجامعة المصرية » و « والى الجامعة ايضا » « وشهد شاهد من أهلها » و « فلسفة كمضغ الماء »(٧) . وهى مقالات قصيرة

---

(٦) المرجع السابق/ص ٨١ .

(٧) ذكر الأستاذ الرافعى انه كتب مقالاته التي يرد بها على محاضرات طه حسين وكتابه « فى الشعر الجاهلى » فى جريدة « كوكب الشرق » . انظر تحت راية القرآن/ص ٦٩ .

بالنسبة لمقالاته التى كتبها بعد ذلك فى نقد كتاب « فى الشعر الجاهلى » بعد صدوره . كما انها تدور فى الاساس حول ما دارت عليه مقالات عباس فضلى وشكيب ارسلان مع بعض الافتنانة ، ولكن فى ايجاز شديد . وقد وجه المقالة الأولى الى المسؤولين فى الجامعة يسالهم : هل قرر استاذها (يعنى طه حسين) ما نسب اليه من تشكيكه فى الشعر الجاهلى وان القرآن هو الذى يمثل العصر الجاهلى لا ذلك الشعر المنسوب اليه وان الغزل المعزو الى امرىء القيس هو لابن ابى ربيعة ؟ واذا كان قد قرر ذلك فما ادلته ؟ وهل يصح أن يقرر ذلك فى دروسه التى يتقاضى أجرها من مال الأمة ؟ (٨) أما فى المقالة الثانية فقد شكك فى مقدرة طه حسين على الاضطلاع بتدريس تاريخ الأدب العربى (٩) ، وفى الثالثة يتهمه بالتلاعب بالتاريخ ورمى الاسلام بأنه دين الحرج والتعصب وضيق الفكر اذ ان المسلمين وحكامهم ، على ما قال ، قد محوا فى بداية الاسلام شعر اليهود والنصارى والوثنين . كما يسميه « المبشر طه حسين » ، ويشير الى مقالة فى « البلاغ » يتهم كاتبها طه حسين انه سرق محاضرته عن امرىء القيس من من دائرة المعارف الاسلامية ، ويطالب الجامعة بأن تعقد مناظرة بينه وبين طه حسين (١٠) . وفى المقالة الرابعة يسفه منهج طه حسين فى دراسة التاريخ ، ويعود فيؤكد انه لا يصلح للقيام بالتدريس فى الجامعة ، ويختتمها بأرحوزة تهكمية فيه . وقد الحق بهذه المقالة حاشية ذكر فيها انه بعد كتابته لها تلقى كتاب « فى الشعر الجاهلى » وانه قرا فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب ان تلتمس فى القرآن » ، وعد ذلك خبلا عقليا (١١) .

والملاحظ من مقالتى الأستاذ فضلى والأمير شكيب ارسلان ومقالات الرافعى الأربع هذه انه لم يرد فى أيها ذكر لما قاله طه حسين عن قصة

(٨) انظر تحت القرآن/ص ١١٣ — ١١٥ .
(٩) المرجع السابق/ص ١١٦ — ١١٨ .
(١٠) المرجع السابق/ص ١١٩ — ١٢٢ .
(١١) انظر المقالة فى « تحت راية القرآن » ص ١٢٣ — ١٢٧ .

سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام فى القرآن من انها اسطورة شاعت بين العرب فى العصر الجاهلى واستغلها الاسلام لأسباب سياسية وغير ذلك ، وهو الفصل الذى إهاج الدنيا عليه وعد كلامه فيه مروقا من الاسـلام فحذفه من الطبعة الثانية من كتابه ، الذى غير عنـوانه الى « فى الأدب الجاهلى . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع فى محاضراته ؟ الأدب الجاهلى » . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع فى المحاضرة ؟ ام هل تعرض له فى محاضراته قبل صدور الكتاب ولكن لم يبلغ كلامه فيه أحدا ممن كتبوا عن هذه المحاضرات ؟ لقد نفى لطفى السيد أن يكون طه حسين قد القى على طلبته ما جاء فى الكتاب (١٢) فان كان يقصد كل شىء جـاء فى الكتاب فهو يجافى الوقائع التاريخية ، والا فكيف عرف عباس فضلي وشكيب ارسلان وطه حسين ببعض افكار الكتاب قبل صدوره ؟ كذلك فان عنـدنا الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى كان فى ذلك الوقت واحدا من طلبة قسم اللغة العربية الذين كان طه حسين قد حاضرهم فى هذا الموضوع ، والذى شـهد بأن طـه حسين قد حـاضرهم فى هـذا الموضـوع ، وانه ناقش طه حسين فى آرائه ، بل واتهمه فيما بينه وبين بعض الطلاب وكذلك امام عدد من المستشرقين الذين كانوا اساتذة فى كلية الآداب فى ذلك الوقت بأنه سرق افكاره هذه من مارجليوث المستشرق الانجليزى ، وانتهى الأمر به الى ضيق ونفور ، فأبغض الجامعة وتركها ولم يكمل دراسته بها (١٣) . بيد أن الملاحظ ايضا أن الأستاذ شاكر لم يشر الى ان طه حسين قد رفض صراحة شيئا مما جاء فى القرآن ، مما يعود بنا الى الأسئلة السابقة (حول هذه النقطة) التي لا نجد لها جوابا ، اللهم الا اذا أخذنا ما قاله طـه حسين فى كتابه على ظاهره ، اذ ذكر أنه أذاعه على تلاميذه ، وانه ليس سرا ما يتحدث به الانسان

---

(١٢) تحت راية القرآن/ص ٣٨٧ .

(١٣) انظر محمـود شـاكر/المتنبي/السـفر الاول/ص ١٥ — ٢٦ ، ٤٠ — ٤١ ، ومجلة الثقافة/العدد ٦٠ ، سبتمبر ١٩٧٨/ص ٧ ، ١٢ ، ١٤ (وذلك من مقالة للأستاذ شاكر أيضا بعنوان « المتنبي . ليتني ماعرفته ») .

الى مائتين من التلاميذ (١٤) . ومع ذلك فقد يحيك فى الصدر سؤال : او قد عنى طه حسين هذا الذي قاله بحذافيره ، بمعنى هل حاضر فعلا طلابه قبل صدور الكتاب فى كل ما ورد فى هذا الكتاب أم انه أرسل القول بغير تحرز ؟ ان الذى جعلنى اقف امام هذه المسألة هو ، كما اشرت ، ان احدا من الذين كتبوا عن المحاضرات قبل صدور الكتاب لم يذكر ان طه حسين قد رفض ما جاء فى القرآن صراحة ، بل ان الاستاذ محمود شاكر ، حتى بعد مرور هذه العقود ، لم يشر هو ايضا الى هذه النقطة . فان كانت الاجابة على الشق الثانى من السؤال بنعم فمعنى ذلك ان لطفى السيد حين نفى ان يكون طه حسين قد حاضر الطلاب فيما جاء بعد ذلك فى كتابه ربما كان قصده ان طه حسين لم يهاجم القرآن فى محاضراته ، وهو فى الحقيقة ما يفهم من عبارة الشيخ محمد احمد عرفه فى كتابه « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » (١٥) . ومع ذلك فان الفصل الذى اتهم فيه طه حسين الاسلام بانه استغل ما سماه باسطورة هجرة ابراهيم واسماعيل الى مكة لاسباب سياسية هو من اوائل الفصول فى الكتاب ، اذ هو الفصل الرابع من الكتاب الاول (وبالمناسبة فكتاب « فى الشعر الجاهلى » مقسم الى ثلاثة كتب) ، ويشغل الصفحات من ٢٤ الى ٣٠ . وما جاء فيه هو واحد من الاسس التى بنى عليها نظريته (أقول : « نظريته » هنا تجاوزا . وسوف نناقش ذلك فيما بعد تفصيلا) ، مما يجعلنى استبعد ان يكون طه حسين لم يذكر ذلك فى محاضراته . ولكنى ، كما سلف القول ، اصطدم بالحقيقة التى مؤداها ان احدا ممن تكلم عن محاضراته لم يشر ، فيما اعرف ، الى انه ردد فيها هذا الكلام . وهى قضية ، كما ترى ، لا يمكننى البت فيها برأى لا معقب له ، وانما يمكن ان يجلى لنا هذا الغموض احد الذين سمعوا هذه المحاضرات ممن لا يزالون احياء ، اطال الله فى اعمارهم .

---

(١٤) انظر محمد احمد عرفه/نقض مطاعن فى القرآن الكريم/ص ١١٦ — ١١٧ . وقد حافظ الدكتور طه حسين على هذه العبارة حتى فى الطبعة الثانية للكتاب ، الذى غير عنوانه الى « فى الأدب الجاهلى » . انظر ص ٦١ من هذا الكتاب/دار المعارف/١٩٦٤ .

(١٥) انظر ص ١١٦ .

القضايا المتصلة بهذه المعركة

وقد تناولت مقالات المرحوم الرافعي التى انتقد فيها كتاب « فى الشعر الجاهلى » عدة قضايا هامة : الاولى انه اتهم طه حسين فى دينه ، والثانية حرية الفكر ، والثالثة قوله انه سرق افكاره من المستشرقين ، والرابعة تسفيهه لمنهجه الذى اتبعه فى دراسة الشعر الجاهلى ومناقشته لارائه وتفنيدها . وسوف نتناول هذه القضايا واحدة بعد الأخرى مع ما يتصل بكل منها من قضايا أخرى .

ونبدأ باتهام الرافعى لطه حسين فى دينه . وقبل أن نعرض لما قال الرافعى فى هذا الصدد نذكر أن سامح كريم يربط بين هجوم الرافعى على طه حسين عند ظهور كتاب « الشعر الجاهلى » وبين انتقاد طه حسين قبل ذلك لأسلوب الرافعى (١٦) . وقد ساق هذا بطريقة توحى أن الرافعى حين انتقد كتاب « فى الشعر الجاهلى » انما كان مدفوعا بعامل الانتقام لا بدافع البحث العلمى والغيرة على الدين . وهو ما فعله ايضا عند اشارته الى نقد المرحوم رشيد رضا للكتاب ذاته ، اذ أرجع هذا النقد الى اتهام طه حسين لرشيد رضا فى صدق تدينه واخلاص دعوته الى الدين (١٧) . وانا وان كنت لا استبعد تدخل العوامل الشخصية فى هجوم الرافعى على آراء طه حسين (الرافعى بشر على كل حال) لا أظن ان هذه العوامل هى المحرك الأول للرافعى رحمه الله ، والا لمنعه ذكر طه حسين اياه بخير فى كتابه

---

(١٦) انظر سامح كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥٠ — ٥١ وانظر فى هذه المعركة القديمة كتاب الرافعى « تحت راية القرآن » ص ١٠٠ — ١١٢ ، وحديث الأربعاء/لطه حسين/ج ٣/ص ٣ — ٤٠ . كذلك فان كتاب « طه حسين الشاعر الكاتب » لمحمد سيد كيلانى يلقى ضوءا على بدايات الخلاف بين الكاتبين . ص ١١٦ — ١٢٠ .

(١٧) انظر ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥١ .

« فى الشعر الجاهلى » نفسه وثناؤه فيه على كتابه « تاريخ آداب العرب » من التعرض له (على الأقل بهذا العنف)(١٨) ولما هاجم لطفى السيد ايضا ، وهو لم يسىء اليه ، بل على العكس مدح كتابه فى تاريخ الأدب العربى حين صدوره مدحا جزيلا ، وجعله محور حديثه فى كل منتدى يذهب اليه فى القاهرة(١٩) ، وعلى اية حال فالعبرة بصحة راى الرافعى او عدمه ، وهل استند فى اتهامه لغريميه الى دليل او انه ارسل الاتهام ارسالا ؟ كذلك لا ننس انه إذا كان الرافعى قد اتهمه فى دينه فقد سبق أن فتح طه حسين هذا الباب وشكك فى تدين رشيد رضا واخلاصه فى الدعوة الى الدين كما رأينا . اقول هذا لأن بعض الباحثين قد حمل على الأستاذ الرافعى لموقفه هذا من طه حسين وحذرنا من ان نكون آراءنا فى هذه المسألة عن طريق السماع(٢٠) .

ونحن هنا لن نكتفى بترديد راى الرافعى فى طه حسين بل سنعرضه على النصوص وسنقلبه على كل وجوهه . واريد ان اصارح القارىء منذ الآن بأن العلم لا يعرف تلك الحساسية التى تصيب بعض الناس حينما يرون من ينتقد هؤلاء الذين يعظمونهم ، وتدفعهم الى القول باننا ينبغى الا نتعرض لايمان هذا الشخص او ذاك ، على اساس ان هذا تدسس الى القلوب نهى عنه الاسلام . ان هذا الاعتراض يصح لو ان الباحث يرجم فى هذه القضية بالغيب ، ولكن اذا كانت هناك نصوص مقطوع بنسبتها لا يمكن تأويلها فمعنى

---

(١٨) وذلك بعد ان كان قد عاب هذا الكتاب قبل ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ١٠٠ ، ١٣١ ، وفى الشعر الجاهلى/ص ٩٠ — ٩١ (ص ١٩٢ من «فى الأدب الجاهلى»)،ومحمد سعيد العريان/حياة الرافعى/ص٦٩،١٥١ .

(١٩) انظر فى هجوم الرافعى على لطفى السيد ومدح هذا لكتاب الرافعى « تحت راية القرآن » ص ٢٢١ ، ٢٧٢ — ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ — ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ والعريان/حياة الرافعى/ ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢٠) انظر مقالة د. ابراهيم عبد الرحمن « الى خصوم طه حسين : النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى » الأهرام/ الجمعة ١٩٨٢/٢/٧ الصفحة الأدبية .

ذلك ان للباحث الحق فى دراسة الأمر . وقد سبق ان تناول كثير من الدارسين عقائد أمثال يزيد بن الوليد وابن المقفع والمتنبى والمعرى والحاكم بأمر الله ، فلم نسمع من ينكر عليهم ، فلماذا الكيل بمكيالين اذن ؟ أيا ما يكن الأمر فاننا هنا بصدد تناول راى الرافعى فى عقيدة طه حسين ، وهذا الراى جزء من تاريخنا الفكرى والأدبى لا اظننا نكون امناء لو أهلنا عليه التراب . كذلك فاننا لا ندعى ان ما سنصل اليه من نتائج هو كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يقول هذا الا جاهل أو مغرور ، وانما هو اجتهاد علمى قد يصح وقد يخطىء . واذا كان طه حسين قد راى ان من العلم ان يقول ما قال فى القرآن الكريم فلماذا نعيب الرافعى اذا راى فى موقف طه حسين هذا رايا ؟

ان الرافعى يرى أن طه حسين أداة أوربية استعمارية(٢١) ، غرضه توهين عرى الاسلام(٢٢) ، ويأخذ عليه انه لم يصل على النبى مرة واحدة فى كتابه ولو بحرف (ص) كما يفعل نصارى العرب (٢٣) ، ويسميه « المبشر طه حسين » مرة و « المستر حسين » أخرى (٢٤) ، ويشبه الجامعة (فى مجال العلم) بمستشفيات المبشرين (فى مجال الطب)(٢٥) ، ويكنيه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » (٢٦) ، ويشير الى دور زوجته فى حياته وتأثيرها عليه (٢٧) ، ويتهمه بالزندقة(٢٨) والالحاد(٢٩) ، ويورد أيضا اتهام الشيخ مفتاح له بأنه كافر وتحديه له أن يقاضيه(٣٠) . وهو من ثمة يدعو

(٢١) تحت راية القرآن/ص ١٨٦ .
(٢٢) المرجع السابق/١٩٩ .
(٢٣) المرجع السابق/ص ٢٠٧ .
(٢٤) ص/١٢٢ ، ص/١٧٧ .
(٢٥) ص/١٤٥ .
(٢٦) ص/٢٠٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣ .
(٢٧) ص/٣٤٩ .
(٢٨) ص/١٢٩ — ١٣٠ .
(٢٩) ص/٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .

الى ابعاده عن الجامعة وحماية النشء من أفكاره(٣١) ويحرض عليه وزارة المعارف لانه ، كما يقول ، يناقض بآرائه ما يقال للطلبة فى كتبها ومدارسها ، والمفروض فى نظره الا يكون هناك تناقض ، والا فعليها ان تعلن صحة آرائه وتتابعه عليها(٣٢) .

وحين يدافع لطفى السيد عن طه حسين على أساس حرية الفكر يرد الرافعى بأنه لا ينازعه فى معانى حرية الراى واشباهها ولكن النزاع فى الجهل والكفر(٣٣) ، ومن هنا نراه يهاجم حرية الفكر اذا أدت الى الكفر وتقطيع الأرحام(٣٤) ، وان كان قد عاد فى موضع آخر فسلم للجامعة بحرية الكفر ، لا الفكر فقط (يأسا منه فيما هو واضح أن يصبح المسؤولون فى الجامعة السمع اليه فى هذه النقطة) ، وركز على « الغلطات التاريخية والأدبية التى وقع فيها أستاذها »(٣٥) .

واتهام الرافعى لطه حسين بالكفر قائم على أساس ان هذا الاخير يرى أن القرآن تأليف لا وحى ، وان النبى عليه الصلاة والسلام رجل سياسة لا رسول ، وانه يهاجم الصحابة(٣٦) ، وانه يرفض الحديث الصحيح(٣٧) . وفى راى الرافعى أن طه حسين يهاجم الأدب العربى « لانه أساس فى لغة القرآن ، ولأن القرآن أساس فى الدين ، ولأن الدين ينافى مذهبهم فى الحضارة الغربية ، التى يعملون لها جهد طاقتهم »(٣٨) .

---

(٣٠) ص/٢٤٢ — ٢٤٣ .
(٣١) ص/١٨٨ .
(٣٢) ص/١٧١ .
(٣٣) ص/٣١٤ ، وان كان ظاهر كلامه قد يوحى بغير هذا .
(٣٤) ص/٣٠٦ .
(٣٥) ص/٢٧٣ .
(٣٦) تحت راية القرآن/ص ٢٠٥ .
(٣٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ ، ٢٠٥ .
(٣٨) المرجع السابق/ص ٣٠٦ .

والرافعى رحمه الله لا يلقى اتهاماته بغير دليل ، بل يسوق ما قاله طه حسين من اننا « يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربى وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل به » (٣٩) ، وقوله (٤٠) انه للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة ... ونحن مضطرون الى ان نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والتوراة والقرآن من جهة أخرى »(٤١) ، وما قاله فى ص ٢٨ — ٢٩ من الكتاب نفسه من أن قريشا « كانت فى هذا العصر (يقصد : عصر ما قبل الاسلام) ناهضة نهضة مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهى بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد فى البلاد وحدة سياسية وثنية مستقلة»، وانه « اذا كان هذا حقا ، ونحن نعتقد انه حق ، فمن المعقول ان تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن اصل تاريخى قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التى تتحدث عنها الأساطير . واذن فليس ما يمنع قريشا من أن تتقبل هذه « الأسطورة » التى تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة « أسطورة » اخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة بباينياس بن بريام صاحب طروادة »(٤٢) وكذلك ما قاله فى ص ٨٠ من كتابه السالف الذكر من ان القرآن « يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى . وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو صحف ابراهيم . ويذكر غير دين اليهود

---

(٣٩) المرجع السابق/ص ١٤٠ — ١٤١ . والنص موجود فى ص ١٢ فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٤٠) ص/٢٦ من كتابه « فى الشعر الجاهلى » .

(٤١) تحت راية القرآن/ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٤٢) المرجع السابق/ص ١٤٧ .

والنصارى دينا آخر هو ملة ابراهيم ، هو هذه الحنيفية التي لم نستطع الى الآن أن نتبين معناها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ، ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد اخذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم[٤٣] ، وقوله فى ص ٨٣ من نفس الكتاب : « وليس يعنينى هنا ان يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية بن أبى الصلت أو لا يكون »[٤٤] ، وقوله (فى ص ٨٥) فى الرد على المستشرق كليمان هوار وزعمه أن النبى قد استعان بشعر امية بن أبى الصلت فى تأليف القرآن : « من ذا الذى يستطيع ان ينكر ان كثيرا من القصص كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب انفسهم ، وكان من اليسير ان يعرفه النبى ﷺ ، كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبى . ثم كان النبى وامية متعاصرين ، فلم يكون النبى هو الذى أخذ من امية ولا يكون امية هو الذى اخذ من النبى ؟ » ، فان الرافعى يلمح فى هذا الكلام أن النبى ، فى نظر حسين ، هو مؤلف القرآن وهو نفس ما يفهمه من قوله (ص ١٨٢) فى تعليل مخالفته لمن يرون أن انكار الشعر الجاهلى يسىء الى القرآن ، لأن القرآن ليس بحاجة الى شواهد من الشعر على الفاظه ومعانيها عند العرب : « ان أحدا لم ينكر عربية النبى فيما نعرف » ، فهو يرى فى الاشارة الأخيرة أن القرآن هو كلام النبى ، وقوله (فى ص ٧٢ — ٧٣) : انه يوجد « نوع آخر من تأثير الدين فى انتحال (يقصد : نحل)[٤٥] الشعر واضافته للجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه فى قريش ، فلأمر ما اقتنع الناس

---

(٤٣) المرجع السابق/ص ١٤٨ .

(٤٤) المرجع السابق/ص ١٤١ ، ١٥٠ .

(٤٥) كتب المرحوم الرافعى بعد كلمة « انتحال » (كذا) . وقد لاحظت أن طه حسين فى وقت لاحق قد استبدل بهذه الكلمة الخطأ كلمة « نحل » .

إن النبى(٤٦) يجب ان يكون صفوة بنى هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وان يكون بنو عبد مناف صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الانسانية كلها »(٤٧) ، فالرافعى يرى ان هذا تهكم واستهزاء بالحديث الصحيح التالى : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »(٤٨) . ومثل هـذا تكذيبه بوجود امرىء القيس مما يعد رفضا للحديث الصحيح الذى ورد بذكره(٤٩) ، وقوله (ص ٥٥)(٥٠) : « ان يزيد صورة صادقة لجده ابى سفيان فى السخط على الاسلام وما سنه للنـاس من سنن »(٥١) .

وبعد ، فهذا جل لا كل مارآه الرافعى رحمه الله مطعنا فى ايمان طه حسين بالاسلام وكتابه ونبيه . والحقيقة أن من الصعب تماما الدفاع عن طه حسين ، اللهم الا فى بعض النقط الفرعية التى لا تقدم ولا تؤخر فى اتهام الرافعى له ، اذ قد يمكن القول مثلا انه حينما قال انه لا يعنيه هنا ان يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا لم يجوز الاحتمالين كما فهم الرافعى ، ولكنه قصد ان هذا

---

(٤٦) الملاحظ ان الأستاذ الرافعى عليه رحمة الله ، كان يصلى على النبى عليه الصلاة والسلام فى كل مرة ذكر فيها فى هذا النص ، مع ان الأصل خال من ذلك . وقد حذفت عبارة « صلى الله عليه وسلم » حتى لا يظن ظان انها موجودة هكذا فى الأصل فيكذب الرافعى فيما قاله من أن طه حسين لم يشفع اسم النبى مرة واحدة ولا بحرف (ص) .

(٤٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ .

(٤٨) الموضع السابق .

(٤٩) تحت راية القرآن/ص ١٩٧ .

(٥٠) ص ٥٥ ، وقد لاحظت أن الرافعى قد روى كلام طه حسين هنا بالمعنى . أما نص الكلام فهو : « واما يزيد فقد كان صورة لجده أبى سفيان ، كان رجل عصبية وقوة وفتك وسخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » .

(٥١) تحت راية القرآن/ص ٢١١ .

ليس موضع الرد على راى كليمان هوار ولا اوانه ، لأنه مشغول فقط ببحثه فى الشعر الجاهلى ، وان كان هـذا فى الحقيقة لونا من التاويل المتعسف لكلامه . كما قد يمكن القول ان حكمه على ابى سفيان مثلا انما هو رأى اجتهد فيه ، ومهما يكن قد اخطأ فيه فان احسان القـول فى ابى سفيان ليس من دعائم الاسلام ، أو ان طه حسين اذا كان يرفض الحديث الشريف الذى ينص على افضلية الرسول وأسلافه فلأنه يراه غير صحيح رغم وروده فى كتب الصحاح . ثم قد يقول المجادلون ان النبى عليه الصلاة والسلام لا يضره أن يكون أسلافه أو لا يكونوا أفضل البشر وهكذا . وقد نتقبل جدلا كلامه فى عميد الأمويين ، ولكن هل من السهل أن تخفى علينا نبرة التهكم فى تناوله الحديث الذى يؤكد أفضلية الرسول على جميع البشر ؟ وهل يليق بمسلم ان تكون هذه نظرته الى الرجل الذى يؤمن بنبوته وما يعنى اصطفاء الله له للقيام بهذه الرسالة العظيمة التى لا يجتبى لها الا الأفذاذ الأخيار من البشر ؟

أيا ما يكن الأمر فما القـول فى رأيه ان على من يريد دراسـة الأدب العربى أن يتجرد من دينه ؟ ان هذا معناه شىء واحـد هو ان الدين يناقض البحث العلمى ، فكيف يجمع طه حسين بين الايمان بالاسلام والايمان بمنهج البحث العلمى وهو يرى انهما متناقضان ؟ ان عليه أن يختار واحـدا منهما مادام الأمر كذلك ، لأن من المستحيل ، الا على ذى عقل مضطرب او مريض بانفصام فى شخصيته ، أن يجمع بينهما .

ان طه حسين يعلن انه فى شكه فى الشعر الجاهلى انما يجـرى على منهج ديكارت . فكيف اذن تجاهل أحد القوانين الفطرية التى رأى ديكارت أنها تعلو على كل شك ، الا وهو « قانون عدم التناقض » ، الذى بمقتضاه لا يمكن أن « يكون » الشىء « ولا يكون » فى الوقت نفسـه ، بل اما أن «يكون» فقط أو « لا يكون » ؟ ان تطبيق هذا القانون على النقطة التى نحن بصددها يستلزم أن يؤمن طـه حسين اما بالدين او بالمنهج العلمى مادامـا فى رأيه متعارضين (٥٢) .

---

(٥٢) انظر مادة Descartes (وبالذات ص/٨٥) من A Dictionary of Philosophy لمؤلفه Antony Flew

اما قول طه حسين ان فى كل منا شخصيتين متمايزتين : احداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل ، وتغير اليوم ما ذهبت اليه امس ، والاخرى شاعرة تلذ وتألم وتفرح وتحـــزن وترضى وتغضب فى غير نقـــد ولا بحث ولا تحليل ، وتساؤله : ما الذى يمنع أن تكون الشخصية الأولى عالمة باحثة ناقدة ، وان تكون الثانية مؤمنة ديانة مطمئنة طامحة الى المثل الأعلى ؟ مالك لا تدع للعلم حـــركته وتغيره ، وللدين ثباته واستقراره ؟ (٥٣) فهو مغالطات بهلوانية : فأولا ، اذا كان هو يعتقد أن الدين يتميز بالثبـــات والاستقرار فكيف يطالب الباحث باطراحه والتجرد عنه أثناء بحثه ؟ لقد كان أحرى به أن يعرف اذن ان بحث الأدب العربى لا يدخل فى نطاق الدين ، ومن ثم فلم تكن به حاجة (لو كان فعلا يعنى كلامه هذا الأخير) الى دعوته المريبة تلك . وثانيا ، أنا لا افهم العلاقة بين الرضـــا والغضب واللذة والألم والفرح والحـــزن وبين الايمان . ان الايمان هو اقتناع بعقيدة وتشريع ما ، والاقتناع من شأن العقل لا من شأن المشاعر ، التى كما يصورها هو نفسه لا تستقر على حال ، مع انه قال ان الدين يتميز بالثبات والاستقرار . ان الاسلام هو دين العقل لا التسليم القلبى دونما فهم أو بحث أو اقتناع ، على عكس الأديان الأخرى ، التى يقع المؤمن بها فريسة للصراع بين عقله وعلمه وبين ايمانه وتسليمه ، هـــذا الصراع الذى يظل يؤرقه ولو فى أعماق نفسه اذا حاول ان يكبته هناك فى تلك الأعماق المظلمة بعيدا عن وعيه ، أو يدفعه فى نهاية الأمر الى الكفر .

من هنا يرى الرافعى ان مقال طه حسين الذى اقتطف منه الرافعى ما سبق (وكان طه حسين قد نشره فى « السياسة » تسويغا لموقفه وآرائه التى بثها فى كتاب « فى الشعر الجاهلى ») انما هو تفسير وتعليل لكفره بحجة العلم ، اذ « يريد أن يثبت فيه أنه من الممكن ان يكون مثله كافرا أشد الكفر على اعتبار أنه عالم يبحث بعقله ، ثم لا يمنع ذلك أن يكون مؤمنا أقوى الايمان فى شعوره »(٥٤) ، كما يرى ان تسمية الشعور شخصية والعقل شخصية

---

(٥٣) انظر تحت راية القرآن/ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .
(٥٤) المرجع السابق/ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

اخرى معناه ان النسيان هو ايضا شخصية والذكر شخصية ، والانسان عدة شخصيات ، وانه حين ينتقل من حالة الى اخرى انما ينتقل من شخصية الى غيرها ويصبح رجلا غير الذى كان ، بل يصبح كان روحا تقمصته(٥٥) . وكذلك يرى انه لابد من التوفيق بين الدين والعلم فيما يختلفان عليه ، والا كان احدهما لغوا وعبثا (ص ٣٥٤) ، وهو ما قلناه من قبل . لقد كان على طه حسين ، بدلا من اللف والدوران ،أن يحدد موقفه من الدين . وهو مافعله فى نفس المقالة التى نحن بصددها ، اذ قال : « ان العالم ينظر الى الدين كما ينظر الى اللغة ، وكما ينظر الى الفقه ، وكما ينظر الى اللباس ، من حيث ان هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتقع الجماعة فى تطورها . واذن فالدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى ، وانما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، وان رأى دوركيم ان الجماعة تعبد نفسها ، او بعبارة أدق انها تؤله نفسها »(٥٦) .

بهذا يكون موقف طه حسين واضحا ، فهو لا يؤمن بالاسلام ، ان آمن به ، على انه دين سماوى أوحاه الله الى نبيه محمد ، بل على أنه اختراع بشرى . واذن الرافعى لم يكن متجنيا عليه قيد شعره حين رماه بالكفر والالحاد . (واحب ان ابادر هنا الى القول اننى لا اريد بهذا ان اسب طه حسين ، بل انى فقط ابحث الأمر بحثا علميا) . واذن ايضا فان طه حسين حين أعلن من قبل فى الخطاب الذى ارسله ، على اثر الهجوم عليه بسبب كتابه ، الى مدير الجامعة احمد لطفى السيد(٥٧) انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لم يكن يعنى ما يقول(٥٨) ، فان الانسان لا يمكنه ابدا ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

(٥٥) المرجع السابق/ص ٣٥١ .

(٥٦) المرجع السابق/ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

(٥٧) لفت نظرى أن أسلوب هذا الخطاب يختلف عن اسلوب طه حسين كما نعرفه ، فهل كتبه له لطفى السيد مثلا ؟ انه به اشبه .

(٥٨) انظر تحت راية القرآن/ص ١٦٥ .

واليوم الآخر وهو فى ذات الوقت لا يؤمن بوحى ولا بالله ، مادامت الجماعة انما تؤله نفسها وتعبد ذاتها فى الحقيقة ، وما دام الدين لم ينزل من السماء وانما نبع من الأرض اختراعا بشريا(٥٩) .

اما قوله انه لم يتعمد فى كتابه الخروج على الدين فهو خداع لا يجوز على العقول ، لأنه اذا لم يكن وصف بعض قصص القرآن بانها اساطير مخترعة لغايات سياسية والقول بأن المسلمين هم الذين ردوا الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم وغير ذلك مما سبق أن أوردناه هو الخروج على الدين فانه لا يوجد اذن شىء اسمه الخروج على الدين .

اما تأكيد طه حسين فى الخطاب الذى ارسله الى مدير الجامعة بأن دروسه فى الجامعة خلت خلوا تاما من التعرض للديانات ، « لأنى اعرف ان الجامعة لم تنشأ لمثل هذا » ، فاننا قد سبق أن قلنا اننا ليس تحت ايدينا

---

(٥٩) الغريب أن الأستاذ سامى الكيالى ، الذى رمى من اتهموا طه حسين بسبب ما ورد فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فى دينه بالرجعية والجمود هو نفسه الذى طبع ونشر لاسماعيل أدهم بحثا بعنوان « طه حسين — دراسة وتحليل » (ط. مجلة الحديث/حلب/١٩٣٨) . وفى هذا البحث يمدح ادهم طه حسين واصفا اياه بالالحاد والثورة على الدين ، ويشير الى رأيه هذا فى الدين . والغريب كذلك ان هذا البحث قد نشر أيضا فى عدد من مجلة « الحديث » التى كان يملكها سامى الكيالى ، وكان ذلك فى نفس العام (عدد نيسان = ابريل) ، ولكن حذفت منه العبارات التى تتحدث عن الحاد طه حسين وثورته على الدين ونظرته اليه كنتاج بشرى ، ووضع مكانها نقط . ان هـذا يبين حقيقة موقف ذلك الصحفى السـورى وأننا ينبغى الا يخدعنا كلامه ، والا فكيف يكون وصف طه حسين بالالحاد من جانب اسماعيل ادهم جميلا ووصفه بذلك من شيوخ الأزهر وعلماء مصر رجعية وتزمتا ؟ كذلك من اللافت للنظر ان الكيالى لم يورد مما قاله طه حسين فى حق القرآن الا جملة واحدة ، وياليته أوردها كما هى ، فقد حـرفها بما اذهب شناعتها،وقال انه قالها على سبيل الاستطراد . فتأمل مدى الأمانة العلمية ! انظر كتابه « مع طه حسين » ج/٢١ ص ٥٦ وما بعدها .

ما يثبت او ينفى ذلك . ولكن السؤال الذى يلح على الذهن هو انه اذا كان لم يتعرض للأديان فى محاضراته والكتاب مملوء بالتعرض للأديان ، والاسلام بالذات ، فما الذى كان يقوله فى محاضراته ؟ على أن الدكتور طه حسين عاد فأدلى لصحيفة « الأنفورماسيون » بالآتى : « قيل لهؤلاء البسطاء : انى اطعن فى الاسلام ، فشهروا الحرب على جميعا . على انى اقول عاليا انه ليس فى كتابى كلمة يمكن أن تؤول ضد الدين . والعبارة الوحيدة التى يمكن أن انتقد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة عن قسوة المباحث التاريخية »(٦٠) . وهو كلام لا ظل له من الحقيقة كما بينا . وقد دفعت هذه المخادعة الأستاذ الرافعى لتكذيبه ووصفه بعدم الحياء والعناد والمكابرة والكذب والسخرية بعقل الأمة(٦١) .

---

(٦٠) تحت راية القرآن/ص ٢٤٢ .

(٦١) المرجع السابق/ص ٢٤٣ .

اتهام الرافعى لطه حسين فى عقيدته

وبعد ان فرغنا من مناقشة ما قاله الرافعى فى آراء طه حسين ننتقل الى تحليل ما قاله فيه هو نفسه . وقد ذكرنا أنه سماه « المبشر » ، وكناه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » ، وقال ان سلطان زوجته عليه شـديد . والحقيقة ان هذه الاتهامات ، برغم عدم تفصيل الرافعى القول فيها ، تشير من بعيد الى ماذكره كاتب (سكرتير) طه حسين بعد ذلك بعشرات السنين ، وهو فريد شحـاتة النصرانى (اقـول : « النصرانى حتى لا يتهم مثلما اتهم الرافعى وغيره بالرجعية والجمود) ، اذ كتب ان طه حسين قد تعمد لاعتناق النصرانية فى شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية وكان ذلك فى كنيسة احدى القرى الفرنسية (٦٢) .

والحقيقة اننا جريا على المنهج الصارم الذى نتبعه فى كتاباتنا لا نستطيع ان نجزم جزما قاطعا بأن هذا قد حدث ، فانه ليس بين أيدينا وثيقة مقطوع بصحتها تشهد على ما قاله كاتب طه حسين ، الذى عاشره فى بيته وخارج بيته عشرات السنين واطلع منه على مالم يطلع عليه سواه ، وان كان هذا لا يمنع أن تظهر مثل هذه الوثيقة يوما ان صحت رواية الرجل . كذلك فان فريد شحاتة بالطبع لم يكن حاضرا طقوس التعميد الذى يشير اليه ، فلم يكن فريد قد عرف الدكتور طه حسين بعد آنذاك ، وان كان الحق يقتضى أن اذكر أن فريد هذا كان لصيقا بقلب الدكتور طه حسين قبل ان يتركه ، كما كان موضع اسراره الخطيرة لعشرات من السنين (ويمكن الرجوع فى ذلك الى الحوار الذى أجراه محمد شلبى معه حول الدكتور طه حسين فى كتابه « مع

---

(٦٢) انظر مقال أحمد حسين « العودة لطه حسين مفخرة مصر » / الثقافة/العدد ٧٤/نوفمبر ١٩٧٩/ص ٤ ، وكذلك مقاله بعنوان « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين فى تاريخ مصر »/الثقافة/العدد ٧٧/فبراير ١٩٨٠/ص ٨ — ٩ .

رواد الفكر والفن » وبخاصة ص/ ١٣٢) .ومع ذلك فهناك عدة ملاحظات لها دلالتها : فزوجة طه حسين ، على رغم انها لم تترك شيئا فى حياة طه حسين الا ذكرته فى كتابها الذى وضعته بعد وفاته عن حياتها معه ، ورغم حرصها على ان تدافع عنه هجوم من هاجموه ، حتى فى الأمور التى لا تحسنها كقضية الشعر الجاهلى مثلا ، لم تفتح فمها بكلمة واحدة تدفع به عنه هذا الاتهام ، مع انها هى الوحيدة المتبقية (فيما اظن) ممن كانوا حاضرين هذا التعميد المشار اليه ، بل هى السبب فيه (ان كان قد حدث) ، باعتبار ان هذا كان شرطا لزواجه منها ، فما معنى عدم نفيها هـذا لما قاله واحد من اقرب المقربين الى زوجها واليها ؟ ترى لو كان هذا اتهاما باطلا أكانت ستسكت عليه مهما كان تدينها وحبها لنصرانيتها ورغبتها فى ان تتكثر لدينها من الأتباع والمتحولين اليه من الديانات الأخرى ؟ ولكن لم لم تحاول ان تنفى هذه الدعوى بالباطل ، لو صح انها حقيقة ؟ ايمكن ان نقول انها خافت ان تكذبها سجلات تلك الكنيسة التى قال فريد شحاتة ان عميد الأدب العربى قد تم تعميده فيها حينما يعن يوما لأحد الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أن يطلع عليها او ترى الدوائر المعنية فى فرنسا ان تخرج هـذه الوثيقة ، ان كان لها وجود ، وتذيعها على الناس عندما تقدر أنه قد حان الاوان لكشفها من اجل هذا الغرض او ذاك ؟ تلك أسئلة لا يستطيع الباحث فى الظروف الحالية ان يجيب عليها اجابة علمية قاطعة تشفى الغليل ، ولا يملك الا أن يقول : فلننتظر !

على أن الباحث مع ذلك لا يمكنه ان يمر مرور الكرام على الحقائق التالية : ان زوجة طه حسين لم تكن تحبه حين قبلته زوجا . وليس هـذا تخمينا منا ، فقد ذكرت هى هـذا ذكرا صريحا فى اكثر من موضع فى كتابها(٦٣) ، كما ذكر د. طه حسين قبلها ذلك بنفسه(٦٤) ، وان الذى حثها

---

(٦٣) انظر سوزان طه حسين/معك/ص ١٠ ، ١٦ .

(٦٤) الأيام ج/٣ ص ١٠٨ وما بعدها و ١١٨ ، وانظر أضا مقال أحمد حسين « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين فى تاريخ مصر » / فى « الثقافة » / عدد فبراير ١٩٨٠/ص ٩ — ١٠ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج/١ ص/٢٩ .

او على الأقل شجعها على الزواج منه هو عمها القسيس الكاثوليكى(٦٥) (الذى كان طه حسين يقول عنه دائما انه احب رجل الى نفسه ، والذى كان يرى فيه مثله الأعلى ودليله فى الحياة) (٦٦) ومتى ؟ فى الربع الأول من هذا القرن حين كان المد الاستعمارى لبلاد المسلمين ولمصر فى اوجه ، ونظرة الأوربيين لنا على اننا شعوب من الهمج على أشدها ، وكراهيتهم لنا بوصفنا مسلمين فى قمتها . أليس غريبا أن يجهد قسيس كاثوليكى فرنسى فى العقد الثانى من هذا القرن جهده فى اتمام زواج ابنة أخيه من شاب مسلم (يعنى « كافر » من وجهة نظره) ، وترضى ابنة الأخ بهذا الشاب الذى لم يكن يتمتع بما تصبو اليه الفتيات عادة من غنى أو منزلة اجتماعية عالية أو وسامة أو أناقة ، ودعنا من انه كان كفيفا وكانت فرنسيته بالطبع فى ذلك الوقت مكسرة بحيث كان من الصعب عليه ، حتى لو كان من أمهر الغزلين ، أن يستميل قلبها بالكلام الخيالى المنمق . كذلك فمن المهم أن نلاحظ انها هى نفسها كانت ولا تزال شديدة التمسك بنصرانيتها ، اى أن افتراض لامبالاتها بكونها نصرانية وكونه مسلما (اى « كافرا » من وجهة نظرها) هو افتراض غير مقبول . وثمة أمر آخر أرى أن له مغزاه : فقد ذكر طه حسين انه حينما أتاه خطاب سوزان من قريتها فى الجنوب الفرنسى (هذا الخطاب الذى كان علامة بينهما على أنها رجعت عن رأيها فى عدم امكانها الزواج منه لأنها لا تحبه) سافر وحده الى هناك ، ولم يستمع لزملائه المصريين الذين صدوه عن الذهاب اشفاقا عليه(٦٧) . يعنى أنه حين أعلنت خطبته على سوزان ، بل أثناء أشهر ذلك الصيف كله ، كان طه حسين وحده بين تلك الأسرة الفرنسية الكاثوليكية وفيها ذلك العم القسيس الذى عضد هذا الزواج (بل أغلب الظن أنه كان وراء تغيير ابنة أخيه موقفها فى مدى

---

(٦٥) انظر « معك » /ص ١٧ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج/١، ص/٢٩ (نقلا عن روبير لاندرى الكاتب الفرنسى) .

(٦٦) معك / ص ١٧ .

(٦٧) الأيام / ج ٣ / ص ١١٢ .

شهر !) . ويحاول زملاؤه ان يصدوه مشفقين عليه ، ولـكنه يصر على موقفه . وقد كان له ما اراد ، فلم يحضر معه مصري ولا مسلم هذه الخطبة . اليس لهذه الوقائع دلالتها الخطيرة ؟ وتشير زوجة طه حسين الى ان عمها القسيس ، الذى كان متحمسا لزواجهـا به على رغم نفورهـا منه ، قد اصطحب طه حسين ، حين زارهم فى قريتهم فى الجنوب الفرنسى ، ساعتين تجولا أثناءهما فى الحقول وحـدهما . بيد انها لم تذكر لنا فيم تحـدثا ، ولا ما الذى اخذه عليه العم القسيس من عهود قبل ان يعطيه ابنة أخيه . من هنا فاننا من الوجهة التاريخية الموثقة نجد انفسنا كلما اقتربنا من هذه المسألة نصطدم بالصمت . فأى نوع من الصمت هذا ؟ حتى الصحفى سامح كريم ، الذى ينقل ما كتبه الآخرون عن طه حسين ، عندما اتى الى هذه النقطة اخذ يحوم حولها من غير ان يسميها ، مكتفيا بالحـديث عن فريد شحـاتة ومذكراته عن عمله مع طه حسين وغيظ هذا منه ووصفه اياه بـ « هـذا الشىء الذى اسميه فريد شحاتة » ، كل ذلك من غير ان يعـرف القارىء الخالى الذهن علام يدور الكلام . وهو ما يجافى أمانة النقل (٦٧) .

كذلك فان من الملاحظات الدالة المتصلة بتكنية الرافعى للدكتور طه حسين « ابا مرجريت » و « وابا البرت » اننى لا اذكر انى قرات فى كتاب «معك» للسيدة سوزان ما يشير قط الى انه كان يوجـه أولاده توجيها اسـلاميا . ولا اظن ان من السهل الجواب على ذلك بانها كنصرانية لا يهمها ان تشير الى ذلك ، فان هذه الملاحظة تصدق ايضا على كتاب « الأيام » ، الذى كتبه هو وافاض القول فيه عن كل شىء يتعلق به وبحياته .

ولعله يكون من المناسب هنا ان نشير الى ان والدة طه حسين ، عندما اخذ طه زوجته الى كوم امبو ، بعد عودته من فرنسا ، للتعرف على أسرته هناك ، قد سالته اى نوع من النبيذ يجب شراؤه من اجلها(٦٩) ؟ فاذا كان

---

(٦٨) انظر فى رحلة الحقول هذه «معك» ص/١٧ ، وبالنسبة لصمت سامح كريم عن الاتهام المذكور انظر « ماذا يبقى من طه حسين » /ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٦٩) معك /ص ٣١ .

هذا هو موقف والدته من أم الكبائر وهى سيدة صعيدية عجوز غير متعلمة وفوق ذلك طبعا مسلمة ، ومتى ؟ فى الربع الأول من القرن العشرين ، وكل ذلك من اجل خاطر العروس الوافدة (لأحظ ان كل ظروف والدة الدكتور طه حسين كان من شأنها ان تدفعها الى الفزع الشديد من مجرد تصور دخول الخمر بيتها) الا يساعدنا هذا فى تخيل موقف طه حسين من امر ذلك الزواج كله والضريبة التى كان عليه ان يدفعها فى مقابله وهو الذى كان مدلها اشـــد التدله بهذا الزواج ، وفوق ذلك كان معجبا اشـــد الاعجاب بالحضـــارة الأوربية واتصل بها فى بلادها اتصالا حميما ؟

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فان المعروف أن طه حسين كان يختار سكرتيريه من النصارى ، فهل ينبغى ان نمر بهـــذه الحقيقة ايضا دون ان نلتفت الى مغزاها ؟ لقد اشتغل توفيق شحاتة كاتبا وقارئا له ، ثم خلفه اخوه فريد ، الى ذكر ان طه حسين قد تنصر قبل زواجه من سوزان زوجته ، التى لم تكن تحبه وكانت ترفض بفظاظة ان تسمع منه كلمة « الحب » او ان يتحدث معها مجرد حديث فى موضوع الزواج ان اراد لزمالتهما وصداقتهما أن تستمر ، والتى غيرت رايها فجاة بعد ان بصرها عمها بمزايا الزواج من هذا الشاب الذى أطراه لها مؤكدا انه سيتجاوزها باستمرار(٧٠) . وان الباحث ليتساءل : يتجاوزها فى ماذا ؟ وهناك غير الأخوين شحاتة سكرتيران آخران على شاكلتهم ، وهما البيربرزان (أول سكرتيريه) وسليم بشارة (آخرهم ، فيما أعرف) ، وان كان هناك دكتور ازهرى قدر له ان يشتغل مع طه حسين فترة من الوقت فلفت انتباهه ان اسلوب حياته يجرى على غير المعهود فى البيوت المسلمة(٧١) .

---

(٧٠) انظر فى هذه النقطة الأخيرة سامى الكيالى/مع طه حسين ج/١ ص ٢٨ — ٢٩ ، و « معك » لسوزان طه حسين/ص ١٧ .

(٧١) ذكر هذا د. زكريا البرى فى مقالة له بعنوان « الشيخ والاستاذ والدكتور والامام » /جريدة « النور » العدد/٢٤٠/١١ صفر ١٤٠٧هـ (١٥ اكتوبر ١٩٨٦) .

والآن بعد ان رأينا هذه المسالة من كل جوانبها المتاحة فاننا نتساءل : هل نما الى الرافعى فى ذلك الوقت المبكر ما قاله فريد شحاتة بعد ذلك ؟ ولكن لماذا لم يذكر ذلك صراحة وهو الذى لم يكن يبالى ؟ بيد ان الملاحظ انه لم يجمجم فى تسميته بـ « المبشر طه حسين » وتكنيته « ابا مرجريت » و «أبا البرت» ، فهل بلغه ذلك الأمر او شىء منه ولكنه ، لسبب او لآخر ، لم يذكره ؟ ان كان الجواب بالاثبات فمن ذا الذى بلغه يا ترى ؟ ان د. نجيب البهبيتى يتحدث فى مقدمة كتاب له صدر حديثا (المدخل الى دراسة التاريخ والأدب العربيين ؟) عن اسرار اخرى تتعلق بأسرة سوزان وعملها فى باريس ... الخ ، وهى أسرار ان كانت جديدة علينا نحن الآن فلا شك أن مبعوثى مصر فى باريس فى ذلك الوقت كانوا يعرفونها ، فهل نقل الى الرافعى سر تعميد طه حسين ، هذا السر الذى لا نستطيع من الوجهة التاريخية الموثقة أن نجزم به ، واحد من هؤلاء المبعوثين ؟ الجواب طبعا : لا نعرف .

ومما قاله الرافعى رحمه الله فى د. طه حسين اتهامه اياه كما رأينا بأنه أداة أوربية استعمارية . ويتصل بهذا انه ينقل ، فى كتابه « تحت راية القرآن » ، ما كتبته مجلة « الفتح » بعد شهرين من نشره مقالته « عصبية طه على الاسلام » ، وهى احدى مقالاته التى انتقد فيها كتاب « فى الشعر الجاهلى » ومؤلفه . ونص ما قالته « الفتح » هو : « ليقل لنا طه حسين كم يتقاضى من رجال التبشير ، او بعبارة أدق : من رجال الدول الغربية من أجرعلى دعايته تلك لهم وعمله لصالحهم وجهاده من اجلهم هذا الجهاد الطويل العنيف الذى لا يرهب فيه امة بأسرها . ان ذلك الأجر لابد ان يكون عظيما جدا كما يتحدث به الناس فى أنديتهم »(٧٢) ، كما سمى فرنسا وطن طه حسين الجديد(٧٣) . والواقع أن الباحث الذى يريد ان يحقق هذه المسألة يجد نفسه أمام عدة حقائق لا يستطيع ، اذا كان باحثا أمينا ، ان

(٧٢) تحت راية القرآن/ص ١٩٥ — ١٩٦ .
(٧٣) المرجع السابق/ص ٣٧٠ .

يغفلها . وهذه الحقائق ، وكلها مستمدة مما كتبته زوجة طه حسين وطه حسين نفسه ، هى : عـلاقة طه حسين الحميمة الى حد مذهل بالأساتذة الأجانب فى الجامعة ، حتى انهم كانوا يجتمعون فى بيته كل أسبوع مرة : وذلك يوم الأحد (لاحظ !) . ومن هؤلاء الأساتذة الأجانب جريجوار واميل برهييه وجريدوروسكايف ولالاند وسانياك(٧٤) . كما انه هو الذى استقدم كازانوفا للتدريس فى الجامعة ، مع أن طه حسين كان لا يزال فى أول درجاته الجامعية حينذاك ، فمن اين له هذا الثقل الوظيفى والأدارى فى الجامعة ؟ ومن الذى كان يقف وراءه ؟ ان هذا الأستاذ كان هو المشرف على رسالة طه حسين فى باريس ، وعندما اتى الى القاهرة كان طه حسين يزوره فى كل يوم(٧٥) .ومن لا يعرف هذا المستشرق نحيله فقط الى كتابه « محمد وانتهاء العالم فى عقيدة الاسلام الأصلية » ليعرف آراءه السوداء فى الاسلام ونبيه ، الذى يتهمه بتلفيق القرآن ويتهم أصحابه بالعبث بنصه عنـدما اتضح أن ما قاله الرسول عليه السلام عن قرب قيام الساعة كان محض هراء ، فكان لابد ، فى زعمه ، من زيادة بعض النصوص التى تمحو اثر هذه النبوءة الكاذبة . وقد حزن طه حسين لوفاته حزنا شديدا »(٧٦) . واشار الى ذلك المرحوم الرافعى بقوله انه حين هلك كان طه حسين هو « نادبته » فى مصر(٧٧) . أما مرجليوث فان طه حسين عنـدما ذهب الى اكسفورد لحضـور مؤتمر المستشرقين هناك (سنة ١٩٢٨) قد نزل هو واسرته ضيفا عليه ، وقامت زوجته برعاية طفله المريض(٧٨) . لقد عاش كاتب هذه السطور عدة سنين فى اكسفورد ، التى كان طالبا فى جامعتها يدرس للحصـول على درجـة

---

(٧٤) انظر « معك »/ص ٧٤ — ٧٥ .

(٧٥) السابق/ص ٧٦ ، وانظر الأيام/ج ٣/ص ١٢١ ، وكذلك كتاب سامح كريم/ص ٧٦ .

(٧٧) تحت راية القرآن/ص ٢٧٥ ، كما وصفه بحق بانه « كذبنوفا »/ ص ٢٩٤ .

(٧٨) معك/ص ٩١ .

الدكتوراه ، ويعرف جيدا كراهية الأساتذة فى هذه الجامعة ذات الأصل الدينى لكل ما هو مسلم واسلامى . ومرجليوث هذا بالذات من اشد المستشرقين بغضا للاسلام وكتابه ونبيه . انه من هذه الناحية يأتى هو ولا ماسن فى المقدمة . ومن يرغب فى ان يأخذ فكرة عن هذه البغض القتال فليرجع فقط الى كتابه « محمد وظهور الأسلام » ، الذى يأخذ فيه جانب وثنيى مكة فى كل موقف حتى فى تعذيبهم للمسلمين ، ويأخذ دائما جانب اليهود ، الذين تآمروا على قتل نبينا وارادوا ان يدمروا الاسلام تدميرا نهائيا ، والذين حمل عليهم مرجليوث حملة شعواء لأنهم لم يحكموا أمرهم جيدا ويتعاونوا على رسولنا ويتخلصوا منه بدلا من تخلصه هو منهم . لقد وصف هذا الرجل الوقح نبينا عليه افضل الصلاة والسلام بانه « شيخ منسر - a robber chief »(٧٩) ، وكان يرى انه ينبغى الا نعير أقواله عليه السلام كبير ثقة(٨٠) . كما قال عن ابى عامر الراهب ، هذا العميل البيزنطى الحاقد على رسوله الله ﷺ وعلى نجاح دينه والذى بنى له المنافقون مسجدا فى أحد أطراف المدينة بعيدا عن عيون المسلمين المخلصين ليلتقوا به فيه لحبك المؤامرات ضد الاسلام ونبيه وأتباعه (٨١) ، انه كان عنده قبل هجرة الرسول الى يثرب ميل الى الاصلاح الدينى ، بيد أن القليل الذى خبره من محمد بعد هجرته الى هذه المدينة قد أقنعه بأفضلية الوثنية(٨٢) . وغير ذلك مما يعج به الكتاب من أقوال شنيعة لا تحترم حقائق التاريخ ولا تلقى وزنا للقيم الانسانية النبيلة التى ارساها محمد عليه الصلاة والسلام وكان أحسن من استمسك بها .

ومن كانت له علاقة حميمة بالدكتور طه حسين المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، الذى كان يبدى اهتماما شديدا به فى ازماته التى كان

---

(٧٩) ص ٢٣٨ Mohammed and the rise of Islam وهذا الكتاب يتضمن بذرة رأى مرجليوث فى الشعر الجاهلى ، وذلك فى ص ٦٠ ، مما سنعود اليه بعد ذلك .

يثيرها، والذى عرض عليه ذات مرة وظيفة فى الولايات المتحدة الأمريكية(٨٣) ، وكان شديد الاحتفاء بابنه مؤنس اثناء دراسته بباريس ، اذ كان يأخذه بعد خروجهما من محاضراته التى كان يحضرها مؤنس ، فيمشيان معا ، ويستعلم منه « باهتمام ودى عن كل ما يقوم به طه من عمل او يخطط للقيام به »(٨٤) . وماسينيون هذا من اعمدة الاستعمار الفرنسى فى الشرق الاسلامى العربى . وقد تحدث عن دوره هذا الصحفى اللبنانى (النصرانى) اسكندر الرياشى فى كتابه « رؤساء لبنان » ، فليراجعه من يشاء . واننا لنتساءل : ما سر هذا الاهتمام الزائد من جانب ماسينيون الاستعمارى وامثاله بطه حسين ؟ لعل ما يلقى بصيصا من الضوء على جواب هذا السؤال ان طه حسين كان يشتغل اثناء الحرب العالمية الثانية مراقبا لاذاعة فرنسا الحرة التى كانت تبث برامجها من دار الاذاعة المصرية . كما أنه قد استقبل الجنرال ديجول حين مجيئه الى القاهرة فى ابريل ١٩٤١(٨٥) .

وعن صداقته الحميمة لبلاشير يمكنك ان ترجع الى ما كتبته السيدة زوجته(٨٦) . وبلاشير هذا هو الذى عبث بآيات القرآن تقطيعا وتقديما وتأخيرا ، وبلغت به الجراة ان خطأ القرآن نحويا واسلوبيا مرات كثيرة ، وتعمد تشويه كتابنا المقدس بتفسيرات لا يمكن أن تخطر الا فى خيال مريض يهذى ، كقوله مثلا (مع كايتانى وشبرنجر) ان « جنة المأوى » هى فيلا بضواحى مكة وان سدرة المنتهى » شجرة هناك .

---

(٨٠) السابق/ص ٢٦٣ .

(٨١) انظر فى سيرة هذا الرجل ورفض ابنه له كتابنا « مصدر القرآن — دراسة فى الاعجاز النفسى »/ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٨٢) انظر كتاب مرجليوث السالف الذكر/ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

(٨٣) معك/ص ١٠١ .

(٨٤) معك/ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٨٥) السابق/ص ١٣٩ .

(٨٦) السابق/ص ٢٥٦ .

ومن اهتمام المستشرقين والدوائر العلمية الأوربية بطه حسين أن نلينو مثلا فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بايطالية اثناء الحكم الفاشى قد تنازل له عن رئاسة القسم الذى كان يراسه ، وهو ، كما تقول زوجة طه حسين ، مالم يحدث قط(٨٨) ، وان الدكتوراهات الفخرية قد أغدقت عليه اغداقا من الجامعات الأوربية على اختلافها(٨٩) . ان الصحفى السورى سامى الكيالى المعجب بطه حسين وباتجاهه الدائم الى قبلة أوربا اعجابا أعمى يشـــير بفخر الى هـــذا الاهتمام الزائد من جانب الجامعات الأوربية بطه حسين(٩٠) ، مع أن هـــذا الاهتمام هو دليل على أن الرافعى لم يكن يلقى الكلام على عواهنه حينما وصفه بأنه اداة أوربية ، والا فما هذا الاحتفاء الغريب المريب بطه حسين من دون المفكرين والأدباء العرب الذين كانوا معاصرين له ؟ أعقمت بلاد المسلمين والعرب ومصر فلم تلد الا طه حسين ؟ ان هؤلاء المحتفين بطه حسين هم أنفسهم الذين يبغضوننا ويبغضون ديننا ولغتنا ، وهم الذين استعمرونا واذاقونا كأس المذلة مترعة ونهبوا بلادنا وقتلوا آباءنا ، واقتطعوا من جسدنا وروحنا فلسطين واعطوها لليهود ،

---

(٨٧) انظر Le Coran ترجمة بلاشير/ص ٥٦٠ — ٥٦١ هـ/١٤، ١٥ . وانظر فى هذا الموضوع دراستنا المفصلة عن ترجمته للقرآن الى الفرنسية ، وذلك فى كتابنا « المستشرقون والقرآن » / ص/٧١ — ١١٧ . ومن المضحك ، بالمناسبة ، أن يبلغ التحمس أحد القسس المصريين ، وهو كمال ثابت قلته (فى رسالته للماجستير عن طه حسين)، أن يهاجم ، وهو رجل الدين النصرانى، شيوخ الأزهر ويتهمهم بالرجعية واصما اياهم بأنهم لم يفهموا الاسلام كما فهمه طه حسين . الحمد لله الذى جعل هذه القس يفهم الاسلام ويقوم بدور القاضى بين مشايخ الأزهر وطه حسين ، ويصدر هذا الحكم المهذب العادل . أنظر كتابه « طه حسين واثر الثقافة الفرنسية فى أدبه » ص/٩٠ — ٩٢ .

(٨٨) معك/١٢٣ .

(٨٩) انظـــر مثـــلا ص ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٥١ من كتاب « معك » للسيدة زوجته .

(٩٠) مع طه حسين/ج ١/ص ١٢٣ — ١٢٤ .

الذين ساعدهم طه حسين على النجـاة بجلدهم عند اقتراب الألمـان من العلمين ، وهم الذين يعطون اسرائيل الرجال والمال والسلاح ليذبحونا . فهل يمكن ان يحتفى هؤلاء بواحد منا لو راوا انه نافع لأمته ؟ ان عنـدنا والحمد لله عقولا تفكر .

ومن مظاهر اهتمام المستشرقين بطه حسين أن بعضهم ، حينما ابعد عن الجامعة ، قد أعلنوا أسفهم الشديد وهاجموا المسؤولين عن ذلك وعدوا طه حسين من المناضلين من اجل حرية الفكر . واعلن برجشتراسه ، وكان ايامها استاذا بالجامعة المصرية ، انه لن يعود الى الجامعة الا اذا عاد اليها طه حسين(٩١) . هذا كله مع ان مئات الأساتذة المسلمين يفصلون ويسجنون ويقتلون فى انحاء العالم الاسلامى كله ولم نسمع من أحد من هؤلاء المستشرقين ولو كلمة مجاملة من باب ذر الرماد فى العيون . واحب الا يفهمنى احد خطأ فيظن أننى مع اضطهاد الفكر ، ولكنى فقط اتساءل عن سر هذا الاهتمام الغريب بطه حسين وامثاله . هـذا ، وسوف أعالج قضية حـرية الفكر بعد قليل .

فاذا عدنا الى الرافعى واتهامه لطه حسين وجدنا أن من الصعب أن نرى الرافعى بالتجنى وارسال القول على عواهنه . ومن المؤكد أن الرافعى كان يعرف عن طبيعة عـلاقات طه حسين بالمستشرقين ورجـال الدين والسياسة الغربيين(٩٢) الشىء الكثير ، بحكم المعاصرة ، وبحكم اهتمامه بقضايا الأدب والتاريخ العربى والاسلامى ، وبحكم اتصاله فى ذلك الوقت بالبيئات الثقافية النشطة واقطاب الفكر والأدب والنهضة الاسلامية ، بحكم وجود الاستعمار البريطانى على ارضنا مما يشجع من لهم علاقة بدوائر الغرب

---

(٩١) انظر معك/ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٩٢) انظر انظر فى بعض هذه العلاقات/ص ١٦٢ ، ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٦٦ .

السياسية والعلمية على عدم الاستتار بهذه العلاقات ، على الأقل . هـذا ، ودعنا من رحلته التى قام بها الى فلسطين وزار فيها الجامعة العبرية (سنة ١٩٢٧)(٩٣) ، تلك الجامعة التى بذل طه حسين جهوده (المشكورة) حتى نجح فى تذليل الاعتراض الذى ابداه رجال البعثات فى مصر على ذهاب طالب اليها(٩٤) . وكذلك دعنا من اشرافه على مجلة « الكاتب المصرى » اليهودية ، وتسهيله لأصدقائه من اليهود الخروج من مصر عنـد اقتراب الألمـان من العلمين(٩٥) .

---

(٩٣) معك/ص ٨٣ .

(٩٤) السابق/ص ١٨٦ .

(٩٥) معك/ص ١٤٠ . ولعل من الطريف ان نشير الى ما ذكرته السيدة سوزان فى هذا الكتاب من أن أخت وام احد الشبان من الاخوان المسلمين،وكان قد حكم عليه ضمن آخرين مثله بالاعدام لارتكابهم جرائم قتل (!) وذلك فى عهد عبد الناصر ، الحتا عليه ان يتدخـل لانقاذه . ولكنه لم يفعل بطبيعة الحال ، ربما لأنهم لم يكونوا يهودا . ومع ذلك فهذه القصة غير مقنعة ، اذ لا اظن ان سمعة طه حسين بين الاخوان المسلمين واسرهم كانت تشجعهم على أن يرجوا تحقيق هذا الطلب على يديه ، وهو الذى هاجمهم اشـد هجوم فى بعض ما كتب . علاوة على اننى لا أعرف أن الاخوان المسلمين قد ارتكبوا جرائم قتل فى عهد عبد الناصر (لاحظ التعبير : « جرائم قتل » ، وقد كانت تستطيع ان تسمى ذلك ، بغرض صحته ، « اغتيالات سياسية ») . فى النهاية فانى لا اعرف لم لم تذكر السيدة الكاتبة اسم هذا الشاب . اغلب الظن ان مثل هذا الشاب وامه واخته ليس لهم وجود .

حــرية الفكر

وبعد ان فرغنا من مناقشة رأى الرافعى فى طه حسين ننتقل الى قضية «حرية الفكر» . وقد سبق ان رأينا الرافعى يعلن انه لا يشاح فى حرية الفكر ولكن المشاحة فى حرية الجهل والكفر . ومن هنا نجده يدعو الى ابعاد طه حسين عن الجامعة وحماية النشء من أفكاره(٩٦) ، ويهاجم القانون الخاص بعدم عزل أى أستاذ جامعى ، ويرى أن المقصود به طه حسين(٩٧) . وبادىء ذى بدء أعلن انى مع حرية الفكر ، أى أننى لست من أنصار محــاكمة الناس ومعاقبتهم على عقائدهم المخالفة لما نؤمن نحن به . فما دمت لا أقبل من أحد ان يتدخل بينى وبين ربى سبحانه وضميرى فيجبرنى على تغيير معتقدى ، فكذلك لا أقبل بل لا أفكر مجرد تفكير ان أقسر أحدا على تغيير ما يعتنقه ، او أطالب بمعاقبته على ما يؤمن به ، بيد أن هذا شىء والسكوت على ما نعتقد مخلصين انه خطأ شىء آخر ، على ان يكون الرد على الكلام بكلام مثله . ومن ثمة فانى أقدر الجهود العلمية المخلصة التى بذلها هؤلاء العلماء والنقاد الذين ردوا على آراء طه حسين وبينوا ما فيها من تهافت وعوار ، ولا أجد أية غضاضة فى تناولهم لموقفه من الدين وحكمهم عليه الحكم الذى يرتضيه المنطق والمستند الى نص ما قاله الدكتور دون تعســف أو لى للــكلم عن مواضعه . ولكنى برغم تقديرى لهذه الجهود وموافقتى على الحكم الذى اصدره هؤلاء الكتاب عليه لا اقر مطالبة البعض بمحاكمته ولا المحــاكمة نفسها . ان طه حسين أديب وكاتب ، واذن فينبغى أن يقتصر التصدى له على أمثاله من الكتاب والأدباء . وفكرة تقرع فكرة ، فى جدال طبيعى حر . أما النيابة العامة فما دخلها هنا ؟ (طبعا ، الا اذا ثبت أن هنــاك تآمرا ، فهذا شىء آخر) . وحتى يكون كلامى واضحا احب ان اسأل من يخالفنى فى

---

(٩٦) انظر تحت راية القرآن/ص ١٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ .
(٩٧) ص/١١٣ — ١١٤ .

هذا الراى عن موقفه لو ان الحكومة فى دولة غير مسلمة حجرت على كاتب مسلم من رعاياها أن يدعو الى ما يخالف عقيدة الدولة او نظامها السياسى ، او عاقبت احد مواطينها لخروجه عن دين امته ودخوله فى الاسلام ؟ لقد كان المسلمون فى المدينة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يتمتعون بحرية القول الى حد مذهل . الم يحدثنا القرآن الكريم ان من بين أهل الكتاب طائفة كانت تتواصى باعلان الاسلام فى أول النهار والارتداد الى الكفر فى آخره(٩٨) ؟ هل سمع احد ان رسول الرحمة عليه صلوات الله وسلامه قد أكره احدا من هؤلاء على الرجوع الى الاسلام أو عاقبه ؟ والمنافقون ، الم يكونوا لا يكفون عن نقد الرسول عليه السلام والمسلمين واستعمال كلام جارح فى حقهم احيانا ؟ أو لم ينزل القرآن معلنا أن هؤلاء النفر منهم أو اولئك قد كفروا بالله بعد أن اسلموا(٩٩) ؟ هل قرأ احد نبى البر قد فكر مجرد تفكير فى معاقبتهم ؟ ان الملاحظ أن القرآن فى موضعين من المواضع التى تحدث فيها عن بعض من يدخل الاسلام ثم يعود فيكفر به قد بين بأجلى بيان أن الايمان بالله هو فضل منه سبحانه يؤتيه من يشاء(١٠٠) . ومعنى ذلك ان الذى يخرج من الاسلام انما يحرم نفسه من فضل وخير كثير ، فهل سنكون نحن ارفق به واحرص على مصيره من نفسه ؟

اقول هذا وامامى مثلان : الأول الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة سابقا ، فقد أعلن فى مقدمة كتابه الذى نقض به مطاعن طه حسين فى القرآن انه سيجادله بالمنطق ولن يلجأ الى القول بأن هذا القرآن مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن(١) . بل انه رأى ان فصل الدكتور طه من الجامعة (يقصد سنة ١٩٣٢ فى عهد صدقى ، بسبب ما كان قد قاله فى القرآن قبل

---

(٩٨) آل عمران/٧٢ — ٧٤ .

(٩٩) التوبة/٤٩ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ — ٨٥ ، ٩٥ — ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

(١٠٠) آل عمران/٧٢ — ٧٤ ، والمائدة/٥٤ .

(١) انظر كتابه « نقض مطاعن فى القرآن الكريم »/ص ١٢ .

ذلك) قد يفسره النفس على انه عجز من اولى الأمر عن ان يهدموا رأيه بالحجة فلذلك عمدوا الى القوة ، التى هى فى رايه غير نافعة فى هدم راى أو دحض مذهب(٢) ، وان كنت اخالفه فى تحرجه من أن يصم ما فيه مخالفة للدين وكفر به من تسميته باسمه(٣) مادام الانسان لا يأخذ بالشبهة ولا يحجر واسعا بل يقتصر فى ذلك على مالا يحتمل تأويلا بحيث لا يمكن أن يعنى الا الكفر . ومع ذلك فان الشيخ لم يتمالك قلمه أن يفلت منه اتهام المطاعن التى وجهت الى القرآن بأنها الحاد يلبس لبوس العلم(٤) . والمثل الثانى هو الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فقد كان من الذين ردوا على آراء طه حسين العاجزة المتداعية ، ومع ذلك فان له فى الدفاع عن حرية الاعتقاد والتفكير وتوضيح الموقف العظيم للاسلام منها عدة بحوث(٥) بين فيها أن الاكراه لا يؤدى الى شىء وانه ليس من الاسلام . وهو كلام متزن حكيم . وعندنا الدكتور طه حسين : هل نجحت محاكمته أو حتى فصله من الجامعة بعد ذلك فى أن تغير آراءه ؟ لقد أعلن أنه مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، ثم وجدناه يعلن بعد ذلك أن الدين هو اختراع بشرى، وأن الجماعة باعتقادها فى الألوهية انما تعبد نفسها ... الخ . كما رأيناه أيضا يكتب كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » فيسلخ مصر عن الشرق العربى والاسلامى جملة ويلحقها بأوربا ، وهكذا . ولعل القارىء لاحظ انى لم اذكر هنا مانسب اليه من آراء عن المكى والمدنى فى القرآن وفواتح السور ذكر بعض من هاجموه انه أملاها على الطلبة فى الجامعة سنة ١٩٢٧ ، وهى آراء لا تقل خطرا عما ورد فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » . وسبب اغفالى

---

(٢) ص/٩ .

(٣) انظر ص/١٢ .

(٤) انظر ص/٤٣ .

(٥) انظر كتبه : « مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين » و « الحرية الدينية فى الاسلام » و « حرية الفكر فى الاسلام » و فصل « الاسلام وحرية البحث » (ص/٦٤ — ٩٠ من كتابه «دراسات اسلامية» .

لها ان طه حسين قد ذكر انه لم يفعل شيئا اكثر من عرضه لآراء المستشرقين فى هذا الموضوع لا آراءه هو . ولما كانت هذه الآراء غير مثبتة فى كتاب من كتبه فقد سكت عنها ، على اعتبار انه لا يوجد دليل موثق على انها له ، وان كنت لا استبعد بل أرجح صدورها منه وبخاصة أن اسماعيل ادهم ، الذى كان معجبا بطه حسين وكتب عنه بحثا يمدحه فيه قد اسند هذا الكلام اليه ، بناء على ما رجع اليه من المذكرات التى املاها طه حسين على طلبته(٦) . وفى المقابل نجد الأستاذ العقاد ، وهو الوفدى الوحيد الذى دافع عن طه حسين فى البرلمان وخارجه(٧) ، يعود فيرد على نظرية الشك فى الشعر الجاهلى ردا مفحما(٨) . ومع أن احدا لم يحاكمه على آرائه الجريئة فى الدين فى أول حياته(٩) فانه قد أنتج بعد ذلك كتبا عدة فى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام وعظماء الصحابة ومحاسن الاسلام تخاطب العقل قل أن يوجد لها نظير فى قوة البرهان وصلابته ورصانة الأسلوب وحلاوته . ومثله فى ذلك الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد رجع عن موقفه الأول من الاسلام واصدر كتابا فى السيرة النبوية من اجمل ما كتب عنها ، بالاضافة الى كتبه عن

---

(١٠٦) انظر فى ذلك الشيخ محمد احمدعرفه/نقض مطاعن فى القرآن الكريم/ص ٤ — ٨ ، ١٣ — ١٥ ، وطه حسين/حديث المساء/ص ٤ — ٦ ، واسماعيل ادهم/طه حسين — درس وتحليل . وقد اشار الرافعى الى نية طه حسين فى درس القرآن من هذه الزاوية قبل أن يفعل طه حسين ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ٣٠٨ .

(٧) انظر فى ذلك/نعمات فؤاد/قمم ادبية/ص ١٤٨ ، و « حديث المساء » لطه حسين ص ٨ ، ١٢ ، وسامى الكيالى/مع طه حسين/ج ٢/ص ٨٧ .

(٨) انظر كتابه/مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية/ ص ٦١ — ٨٥ .

(٩) انظر فى ذلك فتحى رضوان/عصر ورجال/ص ٢٢٩ — ٢٣٠ . والعهدة عليه ، فانى لا اذكر اننى قرات للعقاد ، على كثرة ما قرات له ، شيئا شبيها بهذا .

ابى بكر وعمر والحكومة الاسلامية وغيرها . كل ذلك من غير ضغط ولا قسر؛ ان الاسلام لن يكسب باكراه احد خرج منه على العودة اليه ، فالاكراه ان صح مع الجماد لا يصح فى الحب والكره ولا فى العقائد والآراء.وهو لا يصنع مسلما بل يزيد المنافقين الذين يعملون على تقويض الاسلام من داخله واحدا . ولخيرلنا نحن المسلمين ان نعرف الملحدين والكفرة بأعيانهم من ان ننخدع فى اعلانهم الاسلام تقية وخداعا . والاسلام طاهر نظيف ، ولا يقبل الا الطاهرين الأنقياء(١٠) . ذلك ، وقد صودر كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، فهل اختفت الآراء التى وردت فيه ؟ أليس من الطريف ان كتاب الرافعى رحمه الله وكذلك كتب الغيورين على دينهم الذين نقضوا الآراء الواردة فى فى ذلك الكتاب قد تكفلت ولا تزال بنشر هذه الآراء بنصها كما هى فى الكتاب المصادر ؟ اى انك قد تطرد الفكرة من الباب وتلتفت فاذا بها قد عادت من الشباك . ارجو ان يكون القارىء بذلك قد راى قضية حرية الفكر فى وضعها الصحيح .

بيد ان هذاجانب واحد من الأمر ، على حين أن الجانب الثانى هو ان حرية الفكر يجب أن تكون شاملة ينعم بها كل الأطراف لا ان تقتصر على طرف دون الآخر . مثلا ، ما معنى النص فى عقد انضمام الجامعة القديمة الى الجامعة التى كانت الحكومة تزمع انشاءها على ان يكون طه حسين استاذا فى هذه الجامعة الجديدة ؟ (كان ذلك فى سنة ١٩٢٣)(١١) .

---

(١٠) انظر كتابى/تفسير سورة المائدة/ص ٩٤ (عند تفسير الآية/٥٤ من هذه السورة) ، وكذلك كتابى/تفسير سورة التوبة (عند تفسير الآيات/٥٨ ، ٦١ ، ٨٠/ص ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٥ — ١٤٦) .

(١١) انظر أحمد لطفى السيد/قصة حياتى/ص ١٧٥ وكذلك ص ١٧٩ حيث يعلل هذا الشرط بأنه راجع لحالة الدكتور طه حسين الشخصية . وهو تعليل متهافت يستتر خلف هذا الاعتبار الانسانى الذى لا ندرى لماذا لم يطبق مع غير طه حسين فى كل المصالح الحكومية فى أنحاء القطر كله . وانظر كذلك د.حسين فوزى النجار / أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل / ص ٢٧١ ، ٢٧٨ و د.نعمات فؤاد / قمم أدبية / ص ٣٤ .

ولما ضمت الجامعة المصرية الى وزارة المعارف سنة ١٩٢٥ فى عهد حكومة الأحرار الدستوريين(١٢) ، الذين وقف طه حسين قلمه على الدعاية لهم ، انضم معها طه حسين آليا(١٣) ، فما دلالة ذلك ؟ وما مغزاه ؟ ولم كل هذا التحويط على طه حسين بالذات ؟ لقد لفت هذا الأمر المرحوم مصطفى صادق الرافعى واثار ارتيابه ، فقال : « كنا والله نرتاب فى أن الجامعة المصرية مدرسة الحاد ، وان طه حسين ما اخذ لها دون سواه ممن كانوا فى الجامعة

---

(١٢) وهو امتداد لحزب الأمة ، حزب لطفى السيد ، الذى انفق صدر حياته فى المناداة باستقلال مصر عن تركيا ، مع أن تبعية مصر لتركيا لم يعد لها آنذاك وجود فى الواقع ، وانما كانت بلواها هى الاحتلال الانجليزى ، الذى كان لطفى السيد حبيبا لعميده كرومر . ولطفى السيد هذا الذى كان يحرض المصريين على عدم مساعدة اخوانهم الليبيين المسلمين ضد العدوان الايطالى ، على حين نظم عقود المديح فى كرومر (الطاغية الانجليزى النصرانى الذى اساء الى الاسلام والمسلمين بأعماله وكتاباته) وبخاصة عند توديعه عشيةذهابه من مصر فى ستين داهية بجهود الزعيم الوطنى الشاب النقى المخلص مصطفى كامل بعد مجـزرة دنشواى ، التى اوقعها كرومر هـذا بالفلاحين المصريين المستضعفين ، على ما هو معروف . انظر فى كراهية كرومر لنا الفصلين اللذين عقدهما للاسلام والمسلمين فى مصر ، فى كتابه Modern Egypt جـ ٢/ص ١٢٣ — ٢٠٠ ، لترى بغضه السام لنا ولديننا وعلمائنا . كما ان لطفى السيد هذا هو الذى كان يقف دائما للدفاع عن طه حسين وآرائه . انظر فى مواقف لطفى السيد هذه د. حسين فوزى النجار/ احمد لطفى السـيد استاذ الجيـل / ص ١٢٥ — ١٤٩ ، ١٨٦ — ١٨٨ ، ١٩١ — ١٩٢ ، وكذلك كتـاب احمـد لطفى السـيد / قصـة حياتى/ص ٤٩ — ٧٧ وكذلك كلامه عن كرومر والانجليزفى الجز الأول من كتاب « المنتخبات » ود. محمد محمد حسين/الاتجاهات الوطنية فى الأدب العربى المعاصر/ج ١/ص ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٨٨ — ٩٠ . ود. محمد حسين هيكل/مذكرات فى السياسة المصرية/ج ١/ص ٤٩ — ٥٠ . وانظر نص ما قاله فى توديع كرومر فى « الجريدة » ١٩٠٧/٤/٣٠ .

(١٣) انظر محمد سعيد العريان/حياة الرافعى/ص ١٥٤ .

القديمة الا لهذه العلة فيه لأنه أقوم بها واقدر عليها »(١٤) . وكان رأيه ان الجامعة حينما فكرت فى اصدار قانون بمنع أساتذتها من الفصل فقد كان الهدف من ذلك حماية طه حسين بالذات(١٥) .

ويتصل بهذا أن طه حسين حين أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » قدمه بهذه الكلمات لرئيس الوزارة فى ذلك الحين عبد الخالق ثروت :

الى حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا .

سيدى صاحب الدولة .

كنت قبل اليوم أكتب فى السياسة ، وكنت أجد فى ذكرك والاشادة بفضلك راحة نفس تحب الحق ، ورضا ضمير يجب الوفاء .

وقد انصرفت عن السياسة وفرغت للجامعة ، واذا انا اراك فى مجلسها كما كنت أراك من قبل قوى الروح ، ذكى القلب ، بعيد النظر ، موفقا فى تأييد المصالح العلمية توفيقك فى تأييد المصالح السياسية .

فهل تأذن فى ان اقدم اليك هذا الكتاب مع التحية الخالصة والاجلال العظيم .

ان الكتاب كتاب فى النقد الأدبى ، فما دخل رئيس الوزراء فيه ؟ ومتى كانت كتب النقد الأدبى تقدم لرؤساء الحكومات ؟ ولاحظ قوله « سيدى » ! ثم عبارات الغزل الولهى هذه فى قوة روح ثروت باشا وذكاء قلبه وبعد نظره (وبالذات بعد نظره) ، وهذه الاشارة الى تأييده للمصالح العلمية ، الا يشم فيها القارىء رائحة معينة ؟ اننا نتساءل : لماذا هذا التحكك والتمحك برئيس الحكومة فى مقدمة هذا الكتاب بالذات ؟ أهذا صنيع من يؤمنون حقا بحرية الفكر ام صنيع من يؤمنون بحرية فكرهم هم وحدهم ، ويحتمون بأصحاب السلطان حتى يقفوا بالمرصاد لمن يردون عليهم ؟ كنت أحب أن يدع

---

(١٤) تحت راية القرآن/ص ١١٢ ، ٢٥٧ .
(١٥) تحت راية القرآن/ص ١١٤/هـ ١ .

الدكتور طه كتابه يأخذ مجراه فى الهواء الطلق خارج هذه « الصوبة » .
لقد رآنى القارىء ادافع عن حرية الفكر ، ولكن حرية الفكر ينبغى ، كما قلت ، ان تتمتع بها كل الأطراف . اما الاستتار خلف السلطة فانتهاك لهذه الحرية وخيانة لها . وانا اذن مع الرافعى فى تأكيده أن الحق لا يبحث عمن يحميه بل يصمد للنقد لأنه قوى بذاته(١٦) ، لكنى لست معه فى الدعوة الى فصل طه حسين من الجامعة . غير أن الانصاف يقتضينا أن نوضح أن سبب ثورته العارمة هذه هو رؤيته أيديا خفية قوية تسند طه حسين وحده وآراءه .

كذلك فان حرية الفكر ، لو أن المسؤولين فى الجامعة الذين كانوا يتشدقون بها فى ذلك الحين كانوا صادقين ، كانت تستلزم أن تمثل التيارات الفكرية جميعها فى الجامعة بنسبتها الحقيقية . اما أن يستجلب للجامعة المستشرقون أعداء ديننا ويحرم من التدريس فيها الرافعى مثلا فليس من الحرية الفكرية فى شىء . ترى هل كان الرافعى عاجزا عن تدريس الأدب العربى وتاريخه ، وهو الذى وضع كتابا رائدا فى تاريخ الأدب العربى ، وهو كتاب أكثر من ممتاز بالنسبة للعصر الذى كتب فيه ، وقد سبق أن رأينا لطفى السيد نفسه بل وطه حسين أيضا يقرظانه بما هو أهله(١٧) ؟ أم هل الحرية هى قصر التدريس فى الجامعة على من كانوا يسمون أنفسهم بالمجددين وأساتذتهم المستشرقين ؟ أمن الانصاف والاستقلال الفكرى استقدام كازانوفا ونلينو مثلا واهمال الرافعى ؟ لماذا لم تعط الفرصة لممثلى التيارات الفكرية والأدبية بنسبتهم الصحيحة فى الحياة الثقافية المصرية مع ترك عوامل التطور تأخذ مجراها الطبيعى عن طريق الاحتكاك بين هذه التيارات المختلفة فى المحاضرات والكتب والندوات ؟

---

(١٦) المرجع السابق/ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(١٧) انظر حياة الرافعى/ص ٦٧ — ٧٠ حيث يذكر راى بعض مشاهير العصر وكتابه فى كتاب « تاريخ آداب العرب » للرافعى حين ظهوره والجهد الذى بذله الرافعى فى تأليف هذا الكتاب الرائد وكيف كان هذا الكتاب سببا من أسباب تدريس هذه المادة فى الجامعة المصرية .

وهل من حرية الفكر ان يرفض المسؤولون عن الجامعة المناظرة التى دعاها الرافعى رحمه الله الى عقدها بينه وبين طه حسين ؟ ان المؤمنين الحقيقيين بحرية الفكر يحرصون اشد الحرص على احتكاك العقول والآراء حتى يتمحض الحق وتظهر فسولة الباطل . اما رفض مثل هذا الاحتكاك فقد يكون اى شىء آخر غير حرية الفكر والرغبة فى الوصول الى الحقيقة(١٨) . ليس ذلك فحسب ، بل أن الرافعى يذكر أن الأستاذ الخضرى بك « كان قد أعد محاضرة مسبهة فى الرد على طه حسين وكتب الى الجامعة يستأذنها فى القائها على الطلبة فوسعت له وقالت انها تقدس حرية الفكر وانها تخصه بأوسع غرفة لمحاضرة الطلبة ، بيد أنها سألته أن يبعث اليها بما كتب . فلما اطلعت عليه رأت أن تستر على نفسها وأغلقت الباب وقالت لأقفالها : دافعى أيتها الأقفال المتينة »(١٩) .

والغريب أن تكون علة التراجع المؤسف هذا هى الادعاء « بأن الكتاب لم يلق على الطلبة حتى يرد عليه فى نفس الجامعة»(٢٠) . وانا لنتساءل : اذن لماذا قبلت المناظرة أولا ؟ فى ضوء هذا يمكننا أن نفهم قول الرافعى للطفى السيد انه يخشى من استقلال الجامعة وحرية التفكير(٢١) .

كذلك هل من حرية الفكر أن يضيق طه حسين بمناقشة أحد طلبته له فينهره ويسكته ، ويترك المحاضرة ويخرج ، مع انه هو الذى أذن له بالكلام ؟ ولكن يبدو أنه كان يتوقع من الطالب أن يقوم فيثنى على آرائه وما كان يسميه « نظريته » فى الشعر الجاهلى . ولنترك الأستاذ محمود شاكر يروى لنا القصة

---

(١٨) انظر فى خبر هذه المناظر « تحت راية القرآن »/ص ١١٦ ، ١٢٢ .

(١٩) تحت راية القرآن/ص ٣١٢ .

(٢٠) انظر « تحت راية القرآن »/ص ٣٨٨ . والكلام للأستاذ القاياتى فى البرلمان . وانظر فى هذا الادعاء أيضا ص ٣٨٥ من نفس الكتاب .

(٢١) تحت راية القرآن/ص ٣١٤ .

بقلمه : قال : « بعد المحاضرة طلبت من الدكتور طه ان يأذن لى فى الحديث ، فأذن لى مبتهجا ، أو هكذا ظننت . وبدأت حديثى عن هذا الأسلوب الذى سماه « منهجا » وعن تطبيقه لهذا « المنهج » فى محاضراته ، وعن هـــذا « الشك » الذى اصطنعه : ما هو ؟ وكيف هو ؟ وبدأت أدلل على ان الذى يقوله عن « المنهج » وعن « الشك » غامض ، وانه مخالف لما يقوله ديكارت، وان تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليما لم يداخله الشك بروايات فى الكتب هى فى ذاتها محفوفة بالشك ! وفوجىء طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجىء الخضيرى خاصة . ولما كدت افرغ من كلامى انتهرنى الدكتور طه واسكتنى ، وقام وقمنا لنخرج »(٢٢) .

---

(٢٢) محمود شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ٢٢ .

اتهام الرافعى لطه حسين بسرقة آراء المستشرقين

هذه حرية الفكر من كل جوانبها ، قلت فيها ما أملاه على ضميرى بلا ميل الى هذا الطرف أو ذاك . وننتقل الآن الى القضية الثالثة التى أثارها الرافعى رحمه الله فى مقالاته ، وهى اتهامه طه حسين بانه سرق آراه فى الشعر الجاهلى من المستشرقين . وقد كرر الرافعى ، رحمة الله عليه ، هذا الاتهام فى اكثر من موضع من مقالاته التى نشرها اثر صدور كتاب « فى الشعر الجاهلى » عام ١٩٢٦ ، ثم جمعها مع مقالات سابقة فى كتابه « تحت راية القرآن » .

ففى صفحة ١٢٢ (وفى المقالة المعنونة بـ « وشهد شاهد من أهلها ») يذكر انه قرأ فى جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات » أن محاضرة أستاذ الجامعة (يقصد طه حسين) فى امرىء القيس مسروقة من دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة فى ألمانيا « وفى ص ١٢٨ — ١٢٩ (وذلك فى مقالة بعنوان « قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ») يتهم طه حسين اتهاما عاما بتقليد المستشرقين ، الذين لا يوثق برايهم ولا بفهمهم فى الآداب العربية . اما فى ص ١٣٢ (من نفس المقال السابق) فقد عزا ادعاء طه حسين أن النبى ﷺ نهى عن رواية شعر أمية بن أبى الصلت الى كليمان هوار الفرنسى ، وان كان قد ذكر أيضا أن تعليل طه حسين لهذا النهى المزعوم يختلف عن التعليل الأحمق السخيف للمستشرق الفرنسى ، على حد قوله . وهو يعود فى ص ١٤٦ (من مقالة « أستاذ الآداب والقرآن . الى هيئة كبار العلماء ومجلس ادارة الجامعة ») فيرميه بانه أخذ ما يفيده كلامه من أن القرآن الكريم هو كلام النبى ﷺ ومن نظمه وعمله من هذا المستشرق أيضا ومن غيره من المستشرقين . وفى ص ١٧٦ (من مقالة بعنوان « موقف حرج لوزارة المعارف ») يؤكد « أن تقليد بعض المستشرقين هو الذى افسد طه ، فقد صحبهم وأخذ عنهم ، ثم نزع الى مذاهبهم وأقاويلهم ، لأنه واياهم سواء أو متقاربون فى الركاكة وسقم الفهم والوقوع بالبعد البعيد من اسرار الكلام

العربى ومعانيه »، وبعد ذلك بصفحة (من نفس المقالة السابقة) يقول انه « قد اخذ فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرقين ايضا » . ويمضى قائلا ان صاحب « المقتطف » قد اخبره (فى سبتمبر ١٩٢٥) بخبر مقـالة مرجليوث (فى مجـلة الجمعية الآسيوية) التى ينكر فيهـا صحـة الشعر الجاهلى ، وساق له بعض ادلته فلم يجـد فيها مقنعا ولا رضا ، وانه لما فتحت الجامعة اذ بالدكتور طه حسين «ينتحل الفكرة ويدعيها ويبوب لها ابوابا ويفصل فصولا ويدرس ذلك فى الجامعة »(٢٣) . ومع ذلك فقد عاد فى ص ٢١٣ (من مقالته المعنونة بـ « قد تبين الرشد من الغى ») فقال ان احدهم قد نبهه الى ان فكرة طه حسين مأخوذة بكثير من ادلتها من كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع بباريس سنة ١٨٨٠(٢٤) .

هذا ما تنبهت اليه من اتهامات الرافعى للدكتور طه حسين بانه سرق افكاره فى الشعر الجاهلى من المستشرقين . والملاحظ ان المرحوم الرافعى قد اتهم د. طه اكثر من مرة اتهاما عاما بنقل آراء المستشرقين . وبالنسبة لبعض الافكار الجزئية نجده قد اتهمه مرتين بالنقل عن مستشرق معين هو كليمان

---

(٢٣) سمى المرحوم الرافعى باسلوبه التهكمى مرجليوث وطه حسين بـ « الشيخ مرجليوث » و « المستر طه حسين » ، وهى تسمية ذات دلالة على ما يتهم به الرافعى الدكتور طه من انتحال افكار مرجليوث فى الشعر الجاهلى . انظر ص ١٧٧ من « تحت راية القرآن » .

(٢٤) صاغ الرافعى ذلك بعبارات تهكمية هذا نصها : « ظننا ان استاذ الجامعة اخذ فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرق مرجليوث ، ولكن احد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا قد كان ابو دلامة . فان هذه الفكرة من آراء مستشرقى الالمان ، وهى مبسوطة بكثير من ادلة طه حسين فى كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع فى باريس سنة ١٨٨٠ ، فيسرنا والله ان نباهى الامم كلها بجامعتنا المصرية التى جاءت فى تاريخ الدنيا بمعجزة فوق المعجزات ، اذ ظفرت لتدريس الآداب العربية بأستاذ عظيم تسرق آراؤه وتطبع وتنشر فى اوربا قبل ان يولد هو فى مصر ببضع سنوات » . ص ٢١٣ من « تحت راية القرآن » .

هوار . ذكر ذلك مرة صراحة ، حين اتهمه بسرقة ادعيائه فى نهى النبى عن رواية شعر امية بن ابى الصلت ، ومرة أخرى على نحو غير مباشر ، حين اشار الى مقالة « امرىء القيس » فى دائرة المعارف الاسلامية . فهذه المقالة كتبها هذا المستشرق نفسه . أما بالنسبة للفكرة الرئيسية فى كتاب طه حسين فقد عزاها مرة الى مقالة مرجليوث ، ثم رجع فصعد بها الى كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع بباريس سنة ١٨٨٠ . ولا شك ان الرافعى قد استمد معرفته بتلك المراجع الأوربية من غيره ، اذ لم يكن الرجل يعرف لغة اوربية معرفة تمكنه من الرجوع اليها بنفسه (الذى اعرفه انه كان له المام محدود بالفرنسية) . وعلى كل حال فقد كفانا الرجل مؤونة الاستنتاج باعترافه بنفسه ان هذا الشخص او ذاك هو الذى نبهه الى هذه المعلومة او غيرها . وهى أمانة علمية وشجاعة خلقية منه ، رحمه الله ، لابد من التنويه والاشادة بها .

فأما اتهاماته العامة للدكتور طه حسين بانه اخذ افكاره عن المستشرقين فلا نتعرض لها ، والا لكان علينا ان نرجع الى كل ما كتبه المستشرقون فى هذا الصدد . علاوة على انه قد ذكر نقاطا محددة واتهم طه حسين بانه نقلها عن مستشرقين معينين ، وهو ما يعفينا من القيام بهذه المهمة ويجعلنا نركز بحثنا فى هـــذه الاتهامات المحددة .

ولنبدأ باشارته الى انه قرأ فى جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات» (؟) ان محـــاضرة طـــه حسين فى امرىء القيس مسروقة من دائرة المعـــارف الاسلامية(٢٥) . صحيح ان فرحات هذا لم يحدد المادة التى ذكر ان الدكتور طه قد سرق منها افكاره عن امرىء القيس ، الا ان الذهن يتجه للتو الى مادة « امرىء القيس » ، وهى المادة التى كتبها كليمان هوار ، كما ذكرت قبلا . كذلك صحيح أن كاتب البلاغ لم يقل ان الفصل المعقود لامرىء القيس فى

---

(٢٥) تحت راية القرآن/ص ١٢٢ .

كتاب « فى الشعر الجاهلى » هو المسروق من دائرة المعارف الاسلامية بل محاضرته عن هذا الشاعر . بيد اننا ليس بين ايدينا محاضرات طه حسين ، ومع ذلك فيمكننا ان نعتمد على ما ذكر الرافعى ان طه حسين قاله فى محاضراته من هذا الشاعر الجاهلى وكذلك على ما استشهد به من كتاب الدكتور طه بعد صدوره . وخلاصة ما عارض فيه الرافعى طه حسين هو ادعاؤه ان الغزل المروى لامرىء القيس هو لعمر ابن ابى ربيعة والفرزدق(٢٦) ، وان حياة امرىء القيس ليست الا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن « بن الأشعث »(٢٧) وان رحلته الى قيصر غير حقيقية وشعره فى ذلك مصنوع(٢٨) . وكذلك حيرته فى تحديد تاريخ حياته بين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين(٢٩) . هذا ما أخذه الرافعى على طه حسين ، وان لم يتهمه اتهاما صريحا (اقصد ان كاتب البلاغ ، الذى نقل كلامه الرافعى بما يفيد موافقته عليه ، لم يتهمه اتهاما صريحا) بأنه نقل هذه الأفكار بعينها عن دائرة المعارف الاسلامية بل انصب الاتهام على محاضرة طه حسين عن امرىء القيس بوجه عام .

على كل حال ، فبالرجوع الى مادة « امرىء القيس » فى دائرة المعارف الاسلامية(٣٠) وجدنا أن هوار لم ير ما يدعوه الى الشك فى حقيقة وجود امرىء القيس ، وان كان يشك فى أن الامبراطــور يوستنياس قد خــلع عليه حلة مسمومة قتلته ، بسبب تغريره بابنته ، كما يشك « فى أن اشعاره قد وصلت الينا فى وزنها الأصلى » . ومع ذلك فقــد لخص راى السيرتشارلز ليال ، الذى « بين ان استعمال هذا الشاعر الجاهلى لضرب نادر من بحر البسيط

---

(٢٦) انظر ص ١١٤ ، ٢٩١ — ٢٩٣ من « راية القرآن » .

(٢٧) السابق/ص ٢٧٩ .

(٢٨) السابق/ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٢٩) السابق/ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٣٠) الترجمة العربية/ط دار الشعب/مجلد ٤/ص ٤٠٦ ، وكاتبها كما قلت هو كليمان هوار .

واتفاقه فى طرائق الشعر مع عبيد بن الأبرص دليل على صحة ما وصل الينا من شعره » . وان المقارنة بين آراء هوار هذه وبين آراء طه حسين تكشف لنا عن اتفاق محدود بينهما فى الشك فى شعر امرىء القيس : فاما هوار فيشك فى أن تكون أشعاره قد وصلت الينا فى وزنهـــا الأصلى (على ما فى هـــذا الكلام من غموض وغرابة) ، واما طه حسين فيشك فى صحة الشعر المنسوب اليه بوجه عام ، ويعزو معظمه الى عمر بن ابى ربيعة والفرزدق . كذلك فهوار يشك فى أن يكون الامبراطور البيزنطى قد قتل امرأ القيس ، لأنه كما يقول لم يثبت ان كان له ابنة حتى يغرر بها الشاعر ، على حين يشك طه حسين فى رحـــلة امرىء القيس الى قيصر كلها ، اى أن المستشرق الفرنسى والدكتور متفقان فى الشك على الأقل فى جزئية من هذه الرحلة هى قصة الحب، وان كان الدكتور طه لا يكتفى بهذا بل يعمم هذا الشك على الرحلة كلها . نخلص من هـــذا الى انه اذا كان الدكتور طه قد اخـــذ بعض افكار هوار الموجودة فى هذه المقالة ، وهذا شىء غير مستبعد ، اذ انه كان كثير الاستشهاد بآراء الرجل مما يدل على معرفته بكتاباته وافكاره بل كان شديد الاعجاب به(٣١) ، فانه لم يأخذها كما هى ، بل نفخ فيها وضخمها حتى تحول شك هوار القليل والمحصور فى جزئيتين خاصيتين كما رأينا الى شك يكاد يشمل كل ما يتعلق بحياة الشاعر وشعره .

هذا عن آراء طه حسين فى حيـــاة امرىء القيس وشعره . اما اتهام الرافعى له بانه سرق زعم هوار ان النبى عليه الصلاة والسلام قد نهى عن رواية شعر أمية بن ابى الصلت فان كلام الدكتور طـــه حسين نفسه(٣٢) يبدو انه يزكى هذا الاتهام (وان كان هناك بعض الاختلاف بينهما مما سأشير

---

(٣١) انظر على الأقل فصـــل « الدين ونحل الشعر » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » حيث يناقش الدكتور طه حسين بعض آراء هذا المستشرق ويبدى اعجابه الشديد به .

(٣٢) انظر فى الشعر الجاهلى/ص ٨٢ — ٨٦ .

اليه عما قليل) ، فقــد ذكر أولا قول هوار ان صحة الشعر المنسوب الى أمية واستعانة النبى فى نظم القرآن قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية ومحوه ليصح ان النبى قد انفرد بتلقى الوحى من السماء(٣٣) ، ثم عقب على ذلك بانه من اشد المعجبين بالامتناد هوار وبطائفة من المستشرقين أمثاله وبنتائج بحوثهم (مع مخالفته له فى صحة شعر امية) ، وبعد ذلك ردد فكرة هذا المستشرق عن النهى عن رواية شعر الشاعر ، وان كان قد وصل اليها من طريق آخر . الا ان الأمانة العلمية تملى علينا أن نذكر مالاحظناه من أن د. طه حسين لم يقل ان النبى عليه الصلاة والسلام هو الذى نهى عن رواية شعر امية ، بل قال : « وليس يمكن أن يكون من الحق فى شىء أن النبى نهى عن رواية شعر امية لينفرد بالعلم والوحى وأخبار الغيب »(٣٤) ، مما يفهم منه ان الذى نهى رواية شعر امية لم يكن النبى بل المسلمون وان ذلك كان خاصا بالشعر الذى هجا به أمية المسلمين وأيد فيه المشركين . اكثر من ذلك أن الدكتور طه يشك فى الشعر الذى يتناول فيه أمية أمورا تشبه ما جاء فى القرآن الكريم ، ويرى أن المسلمين هم واضعو هذا الشعر على لسان هــذا الشاعر ليثبتوا أن للاسلام قدمة وسابقة فى البلاد العربية . خلاصة القول انه اذا كان الدكتور طه حسين قد اخذ الجزئية الخاصة بالنهى عن رواية شعر أمية من هوار (وليس ما يمنع عندى من ذلك بل انا ارجحه) فانه فى

---

(٣٣) وردت هذه الآراء ، كما ذكر طه حسين ، فى بحث لهذا المستشرق نشرته له المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ . وقد لاحظت ان هوار لم يذكر هذه النقطة فى كتابه La Litterature Arabe فى المواضع التى ورد فيها ذكر امية . وهذا الكتاب قد ظهر قبل نشر مقالته المشار اليها ، بل ترجم أيضا الى الانجليزية فى العام السابق على سنة ظهور هذه المقالة . فهل نفهم من ذلك أن زعمه الخاص بنهى النبى عن رواية شعر أمية لم يكن قد عن له قبل هذه المقالة ؟ يبدو ذلك .

(٣٤) فى الشعر الجاهلى/ص ٨٤ .

نفس الوقت يخـــالف ذلك المستشرق فى بعض افكاره الأخـــرى المتصـــلة بالموضوع .

اما اتهامه بأنه اخذ ما يفيده كلامه من ان النبى عليه الصلاة والسلام هو مؤلف القرآن من هوار وغيره من المستشرقين فقد جاء فى معرض مناقشته لموقفه من القرآن الكريم وما يحكيه من قصة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما الى مكة ورفعهما قواعد البيت الحرام . والشق الأول فى هذا الاتهام ليس فيه اى قدر من التجنى ، فان موقف طـــه حسين من هـــذه القصة القرآنية والحاقه اياها بالأساطير وقوله ان الاسلام قد استغلها لأسباب سياسية لا يمكن ابدا ، مهما كان القارىء حسن الظن ، فهمها الا على أساس ان طـــه حسين قد قصد أن القرآن من صنع الرسول عليه السلام . ولكن ماذا عن الشق الثانى من الاتهام ، أعنى ان طه حسين قد أخذ كلامه هذا من هـــوار وغيره من المستشرقين ؟ الحقيقة انه لم يؤثر عن الدكتور طه حسين ، قبل سفره الى فرنسا ، مثل هذه الآراء . والذى جد عليه أثناء بعثته الى هناك هو احتكاكه بأفكار المستشرقين احتكاكا مباشرا وعلى نحو اشد مما فى مصر ، بحكم اتساع معرفته باللغة الفرنسية وسهولة اتصاله بكتابات المستشرقين ، التى لم يكن متوافرامنها فى مصر الا القليل ، وكذلك بحكم الحرية التامة التى لا شك ان هؤلاء المستشرقين كانوا يتحدثون بها عن الاسلام فى بلدهم على عكس ما كان ينبغى عليهم ان يراعـــوه فى محـــاضراتهم بمصر ، مهما بلغت جراتهم وعدم مبالاتهم بمشاعر اهل البلد المسلمين . اى ان هذه الأفكار لم يكن لها وجود فى كتابات طه حسين ثم أصبح لها وجود بعد عودته من فرنسا واتصاله المباشر القوى بالمستشرقين وافكارهم عن الاسلام والقرآن والرسول عليه السلام . من هنا فانى لا استطيع الا أن اوافق المرحوم الرافعى على أن طه حسين ، حينما يلمح الى ان القرآن هو من تاليف النبى عليه الصلاة والسلام ، انما يردد آراء المستشرقين ، ومنهم هوار بطبيعة الحال ، الذى كان يكن له اعجابا شديدا كما رأينا .

تشابه آراء طه حسين ومرجليوث

ويبقى اتهام الرافعي رحمه الله لطه حسين بانه اخذ فكرته من الشعر الجاهلي من مرجليوث ، وان كان هاد فاشار ، بناء على ما اخبره به احدهم، الى أنه ظهر قبل مقالة مرجليوث بعشرات السنين (سنة ١٨٨٠ بالتحديد) كتاب فى باريس بعنوان « الشعر العربى قبل الاسلام » . والحقيقة انى حاولت معرفة مؤلفى هـذا الكتاب لأترقى من ذلك الى معرفة الأفكار الواردة فيـه والتاكد من دعوى الرافعي رحمه الله ، ولكنى لم اصل الى شىء . وعلى هذا فلن اناقش هنا هذا الاتهام ، وساركز كلامى على اتهام طه حسين باخـذ افكار مرجليوث ، ذلك الاتهام الذى كان الأستاذ الرافعى ، فى حدود علمى واستقصائى ، اول من وجهه اليه (كتابة طبعا ، والا فان الأستاذ شاكر ، فيما يروى ، قد اتهم طه حسين امام بعض زملائه من الطلاب منذ اول يوم ، وهو ما سنتعرض له بعد قليل) . قال الرافعى (٣٥) : « ولقد اخـذ (يقصد الدكتور طه) فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرقين ايضا ، فقد كان حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة المقتطف فى شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الآسيوية نشرت بحثا للشيخ مرجليوث ، المستشرق الانجليزى المعروف ، انكر فيه صحة الشعر الجاهلى ، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد فيها مقنعا ولا رضا . وقلنا : هو راى فى العلم لا علم ، ثم هو من مستشرق ، وذلك اوهن له . وما كان لنا أن ناخـذ عن القوم فى الأدب العربى الا بتمريض واحتراس . ولما فتحت الجامعة اذا المستر طه حسين ينتحل الفكرة ، ويدعيها ، ويبوب لها أبوابا ، ويفصل فصولا ويدرس ذلك فى الجامعة » .

وواضح من هذا النص أن الرافعى رحمه الله قد اتهم طه حسين بأنه

---

(٣٥) تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

سرق فكرة مرجليوث الاساسية ، ولكنه عرضها عرضا مفصلا . وواضح ايضـــا أن مقالة مرجليوث قد وصلت الى مصر قبلَ أن تفتح الجامعة أبوابها للعـــام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ ، وان الأستاذ الرافعى قد علم بمـــا فيها فى سبتمبر ١٩٢٥ (وقد أشار الى ذلك بقوله : « فى شهر سبتمبر من السنة الماضية » . ولما كان قد كتب مقالته التى اقتبسنا منها هـــذا النص مع بقية مقالاته فى سنة ١٩٢٦ اثر ظهور كتاب « فى الشعر الجاهلى » لم يعد هناك شك فى هذين التاريخين اللذين أوردناهما) .

واحب اولا ان اعرض النقاط الرئيسية التى تتكون منها نظرية مرجليوث عن الشعر الجاهلى ، ثم اقابل بينها وبين العناصر الرئيسية فى فكرة الدكتور طه حسين حول الموضوع ذاته لنرى مدى التشابه او التباعد بينهما . وبعد ذلك انتقل الى التحقيق من تاريخى صدور بحثى مرجليوث وطه حسين . وفى النهاية اناقش الى اى حد يمكننا القول ان طه حسين قد اخذ فكرته وآراءه من مرجليوث اولا ، فاما بالنسبة لأفكار مرجليوث الرئيسية فى مقالته المشار اليها(٣٦) فانه يشك فى وجود اى شعراء جاهلين(٣٧) ، ولا يصدق ما اتت به الروايات عن كثرة الشعراء والقصائد كثرة هائلة فى العصر الجاهلى ، الذى لا يمتد فى الماضى ، على ما تقوله هذه الروايات نفسها ، اكثر من عدة اجيال قليلة قبل الاسلام ، وهو مالم يتحقق لبلاد الاغريق نفسها على رغم علو كعبها فى مضمار الحضارة(٣٨) . وهو يستبعد ان يكون الشعر الجاهلى قد حفظ

---

(٣٦) هذه المقالة عنوانها :

The Origins Of Arabic Poetry

وهى منشورة فى .

Journal Of the Royal Asiatic Society

شهر يولية ١٩٢٥/ص ٤١٧ — ٤٤٩ .

(٣٧) ص ٤١٩ — ٤٢٠ .

(٣٨) ص ٤٢٢ — ٤٢٣ .

عن طريق الرواية الشفوية ، اذ لا يمكن ، فى نظره ، ان يكون هناك رجال مهنتهم حفظ الشعر وروايته .. وكذلك فان الاسلام قد هاجم الشعر والشعراء مما لابد انه دفع المسلمين الى نسيان الشعر الجاهلى . ثم ان كثيرا من هذا الشعر يدور حول الحروب القبلية ، الأمر الذى كان من شأنه اثارة العصبيات وهو ما نهى عنه الاسلام .. ومن هنا نبذ المسلمون هذا الشعر فلم يرووه(٣٩) . وكما استبعد أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ بالرواية الشفوية فانه يستبعد حفظه كتابيا . وهو يستند فى هذا الى نفى القرآن الكريم أن يكون عند العرب كتاب يدرسونه(٤٠) ، مع انه لا صلة بين هذا وذاك ، اذ إن القرآن ينفى أن يكون لدى العرب كتاب سماوى لا انهم جميعا لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة .

ومن الأسباب التي اتخذها مرجليوث ايضا ذريعة للشك فى الشعر الجاهلى أن هذا الشعر هو اكثر تطورا من القرآن الكريم ، اذ انه بطبيعة الحال يجعل القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن فى نظره ينتمى الى مرحلة ممهدة لظهور الشعر ، ولكنه لا يرقى الى أن يكون شعرا . وما دام الأمر كذلك فلا يمكن أن يكون الشعر الجاهلى قد سبق القرآن(٤١) . وهو يضيف الى هذا السبب أن رواة الشعر فى القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة ليسوا أهلا للثقة ، كما تخبرنا الروايات التى أوردتها المراجع العربية نفسها عنهم ومنهم فى بعضهم البعض(٤٢) . على أن هناك ، فى رأيه ، أسبابا أخرى غير هذه الأسباب يسميها بالأدلة الداخلية ، ويمكن تلخيصها على هذا النحو : أن فى الشعر الجاهلى اشارات الى قصص قرآنية ، والفاظا دينية اسلامية ، على حين لا نجد فيه جو الآلهة المتعددة

---

(٣٩) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٤٠) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٤١) ص ٤٢٥ — ٤٢٦ .

(٤٢) ص ٤٢٨ — ٤٣٤ .

(بالنسبة للشعراء الوثنين) ولا اشارة الى النصرانية وتعاليمها وكتابها الا فى الندرة(٤٣) . والى جانب ذلك هناك الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة ، وكذلك بين لغة الشمال والجنوب . فاين هذه الاختلافات فى الشعر الجاهلى ، الذى نظم كله بنفس اللغة التى صيغ بها القرآن(٤٤) ؟ واخيرا فان بناء القصائد الجاهلية يدل على انها نظمت بعد ظهور القرآن ، الذى يقول مرجليوث عنه انه لما قال ان الشعراء يتبعهم الغاوون ، وانهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالا يفعلون جاء واضعو هذه القصائد وناحلوها للجاهليين فجعلوها تبتدىء بالغزل الحسى (اليس الشعراء يتبعهم الغاوون ، بما يدل على انهم هم انفسهم غاوون ؟) لتنتقل الى وصف رحلة الشاعر (تحقيقا لقول القرآن فى الشعراء انهم فى كل واد يهيمون) ، ثم تخرج من ذلك الى مبالغة الشاعر فى الحديث عن انجازاته وتضخيمها (تصديقا لرسم القرآن للشعراء بأنهم يقولون مالا يفعلون)(٤٥) . ويعود مرجليوث فيقول ان النقوش التى عثر عليها لا تحتوى على اى شعر من تلك الفترة ، ورايه انه اذا كانت الممالك الجاهلية التى خلفت لنا هذه النقوش لم تعرف الشعر ، فكيف نصدق ان الاعراب المتبدين كان لهم هذا الشعر الراقى المنسوب الى

---

(٤٣) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٤٤) ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٤٥) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ . ومن الواضح ان مرجليوث ، ان احسنا به الظن ، لم يفهم المقصود بهذه الآيات ، فهى لا تتحدث ، كما يفهم من كلامه ، عن غواية الجنس والهيمان فى اودية البادية ودروبها . . . الخ ، بل تتحدث عن الشعراء الذين يوظفون فنهم فى نصرة الشر واتباع غواية الكفر ، والجرى فى اودية الوهم والضلال ، والتنفج والمبالغة فى القول دون ان يتبعوه بالعمل . وقد لاحظت ان الدكتور ناصر الدين الأسد ، على رغم عظمة الجهد الذى بذله فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » ، قد اضطرب قليلا فى عرضه لهذه النقطة من افكار مرجليوث ، وعزا ذلك الى غموض العبارة فى كلام هذا المستشرق ، مع ان هذا غير صحيح . انظر ص ٣٦٥ — ٣٦٦ من كتاب الدكتور الأسد .

الجاهلية ؟ علاوة على ان القرآن لم يذكر الموسيقى ، التى هى فى رأية من مستحدثات العصر الأموى ، فكيف يمكننا تصور وجود وزن شعرى عند العرب بهذا الانتظام والوفـرة وهم لم يعـرفوا الموسيقى(٤٦) ؟ وفى النهاية يرى مرجليوث اننا اذا اردنا ان نعرف حالة العرب فى عصر البعثة النبوية فامامنا القرآن(٤٧) .

فاذا ما انتقلنا الى النظر فى آراء طه حسين تاكد لدينا ان الأسباب التى استند اليها فى شكه فى الشعر الجاهلى لا تكاد تخرج عما قاله مرجليوث ، فهو فى فصل « مرآة الحيـاة الجاهلية يجب ان تلتمس فى القرآن لا فى الشعر الجـاهلى »(٤٨) ينكر ان يكون ما يسمى بالشعر الجـاهلى ممثلا للحيـاة الجاهلية ، التى لا يمكن دراستها الا من خلال نصوص القرآن . اليس هذا ما قاله مرجليوث(٤٩) ؟ وهو يرى ان هذا الشعر المسمى بالجاهلى لا يعكس لنا الحياة الدينية عند الجاهليين . وهذا قريب جدا مما قاله مرجليوث(٥٠) . غير أن أمانة العلم تلزمنا أن نوضح ان د. طه قد زاد هنا ان الشعر الذى يضـاف للجـاهليين لا يمثـل حيـاة العـرب السياسيـة أو الاقتصـادية او المدنية(٥١) .

أما كلامه عن لغة الشعر الجاهلى وانها لا تمثل الاختلاف بين لغة الشمال ولغة الجنوب او الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة فهو فى خطوطه العامة

---

(٤٦) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .

(٤٧) ص ٤٤٩ .

(٤٨) فى الشعر الجاهلى/من ص ١٥ — ٢٣ .

(٤٩) ص ٤٤٩ من « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

(٥٠) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٥١) انظر « فى الشعر الجاهلى »/ص ١٩ — ٢٣ .

(٥٢) وذلك فى فصلى « الشعر الجاهلى واللغة » و « الشعر الجاهلى واللهجات » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » /ص ٢٤ — ٣٠ ، ٣٢١ — ٣٩ =

هو نفسه ما قاله مرجليوث(٥٣) ، وان كان الدكتور طه قد خرج فى الفصل الأول من الفصلين المشار اليهما الى الحديث عن قصة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وهجرتهما الى مكة ... الخ وعدها اسطورة اخترعها العرب ، واستغلها القرآن للتقرب من اليهود ، مما لم يتناوله مرجليوث فى مقالته .

كذلك فان قوله ان الشعر الجاهلى لم يصلنا الا بالرواية الشفوية يشبه رأى مرجليوث ، الذى ينفى انتقال الشعر المنسوب الى الجاهليين الينا عن طريق الكتابة (٥٤) . أما بالنسبة للرواية الشفوية لهذا الشعر فان مرجليوث ينفى وجود حفاظ حرفتهم رواية الشعر فى ذلك الوقت ، وهو قريب من شك طه حسين فى مقدرة الحفظ والرواية على نقل هذا الشعر(٥٦) .

قد يقال ان الدكتور طه قد اتى بجديد حين اورد بين اسباب شكه ان علماء الاسلام قد دفعهم حرصهم على ان يستشهدوا بالشعر الجاهلى على الفاظ القرآن والحديث والمذاهب الكلامية على وضع الشواهد المطلوبة وضعا(٥٧) . ولكن بعض التفكير فى ما قاله الدكتور طه سوف يبين لنا أن ذلك متفرع من قول مرجليوث ان الشعر الجاهلى يتضمن الفاظا دينية اسلامية(٥٨) .

ومع ذلك فقد اتى د. طه حسين بأشياء ليست عند مرجليوث . وفى

---

(٥٣) انظر ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٥٤) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٥) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٦) انظر ص ٨٤ من فصل « الدين وانتحال الشعر » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » حيث يتخذ من ورود شعر أمية بن ابى الصلت عن طريق الرواية سببا فى شكه فيه .

(٥٧) انظر ص ٣٨ — ٤١ من كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٥٨) انظر ص ٤٣٥ — ٤٣٨ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية المذكورة .

المقابل نجد ان مرجليوث قد ذكر اشياء لم ترد عند طه حسين : فمثلا فى « الكتاب الثانى » من كتابه « فى الشعر الجاهلى » يتحدث طه حسين عن اسباب انتحال (كذا) الشعر ، وهو مالم يتعرض له مرجليوث باستثناء آرائه الشفوية (كما قدمنا) ، وهى تشبه راى الدكتور طه . اما مرجليوث فقد ذكر ان الاسلام ، لحرصه على دفن العصبيات ، كان من وراء اهمال المسلمين للشعر الجاهلى المملوءبالحديث عن الحروب القبلية التى كانت هذه العصبيات من ورائها تغذيها وتلهبها(٥٩) . كما اشار الى ان الشعر المسمى بالجاهلى لا يمكن الا ان يكون لاحقا للقرآن لا سابقا عليه ، وذلك لأنه فى نظره اكثر تطورا فنيا من القرآن(٦٠) . ثم انه قد استبعد وجود هذا العدد الضخم من الشعراء والقصائد فى العصر الجاهلى على حين لم يتحقق ذلك لبلاد الاغريق المتحضرة(٦١) . ويضاف الى ذلك ما ذكره من ان القرآن لم يشر الى وجود الموسيقى عند العرب فكيف نصدق بوجود أوزان شعرية على هذه الدرجة العالية من الانتظام والتنوع(٦٢) ؟ وكذلك ما زعمه من ان نظام القصيدة الجاهلية يدل على انها صناعة اسلامية قصد بها اثبات ما جاء فى أواخر سورة « الشعراء » عن هذه الطائفة(٦٣) . وهو مالم يتعرض له طه حسين .

• نخلص من هذا الى أن مرجليوث والدكتور طه حسين يتفقان فى معظم البواعث الأساسية التى دفعتهما الى الشك فى صحة الشعر الجاهلى . وقد رأينا ان مرجليوث قد ذكر هنا اشياء لم يذكرها الدكتور طه . كذلك فان

---

(٥٩) انظر ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من المجلة المذكورة .

(٦٠) انظر ص ٤٢٥ — ٤٢٦ من المرجع السابق .

(٦١) انظر ص ٤٢٢ — ٤٢٣ من المجلة السالفة الذكر .

(٦٢) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .

(٦٣) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

الدكتور طه لم يقف عند هذا الحد ، بل مضى فتحدث عن الاسباب التى يرى انها كانت وراء وضع الشعر ونحله للجاهليين ، وهو ما لم يتعرض له مرجليوث الا عرضا وفى نقطة واحدة ليس غير . بيد ان هذا القسم من كتاب الدكتور طه ما كان ليوجد لولا القسم الأول من الكتاب ، الذى يتشابه الى حد كبير مع ما قاله مرجليوث تشابها واضحا . فهذا القسم الأول هو الأساس . هذا ، ولم اذكر القسم الثالث من كتاب « فى الشعر الجاهلى » لأنه عبارة عن دراسة تطبيقية على عدة شعراء جاهليين ، ونحن انما نتحدث هنا عن الأفكار النظرية . وأيضا فانى أحب أن اذكر القارىء انى ، لعدم اهتدائى الى الكتاب المطبوع فى باريس (١٨٨٠) الذى ذكر المرحوم الرافعى ان احدهم قد أخبره بأن الدكتور طه قد اعتمد فى دراسته للشعر الجاهلى عليه ، لا أستطيع أن أعقد موازنة بينه وبين كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث فى الشعر الجاهلى ؟

والآن ، كيف نفسر هذا التشابه فى أساسيات فكرة مرجليوث وفكرة طه حسين ؟ ان الرافعى قد اتهمه بسرقة مرجليوث وهو اول من سجل هذا الاتهام مكتوبا فيما نعرف (كما قلنا سابقا) . والحقيقة ان كثيرا ممن جاءوا بعده يرون هذا الراى ، وان عبر كل منهم عنه بطريقته الخاصة(٦٤) . ومع ذلك فان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن ينفى نفيا قاطعا ان يكون طه حسين قد تاثر بمرجليوث فى اى شىء . كذلك هناك عبد الرشيد الصادق ، الذى يقدم نظرية جديدة فى هذا الموضوع قوامها ان طه حسين لم يتاثر بمرجليوث بل برينان . ثم هناك د. عبد الرحمن بدوى ودفاعه عن طه حسين . وسوف نناقش فيما يلى هذه المسالة .

يقول د. ابراهيم عبد الرحمن(٦٥) : « تجددت حملة التهجم على طه

---

(٦٤) انظر د. ناصر الدين الأسد/مصادر الشعر الجاهلى/ص ٣٨٠ ، ٤١١ وكذلك ص ٤١١ ، ٤١٢ حيث يشير د. الأسد الى اتهامات محمد احمد الغمراوى ومحمد الخضر حسين للدكتور طه حسين باحتذاء مرجليوث. وانظر د. شوقى ضيف/العصر الجاهلى/ص١٧٥ حيث يقرن فى نقده لغلو المحدثين فى شكهم فى الشعر الجاهلى بين مرجليوث وطه حسين قرنا ذا مغزى. وانظر كذلك اشارة د. احمد كمال زكى الى محاولة د. طه حسين ان يثبت مساوانه لمرجليوث فى الاستنباط وفهم دلالات الأخبار . وتنبه لحرصه على أن يوضح تاريخى صدور بحثى مرجليوث وطه حسين مما له دلالته/طه حسين كما يعرفه كتاب عصره/ص ١٧٢ ، ١٨٨ . وانظر الأستاذ محمود شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ — ٢٦ ، ود. عفت الشرقاوى/دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى/ص ٨٦ — ٨٧ .

(٦٥) الأهرام/عدد الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ . الصفحة الأدبية تحت عنوان/ الى خصوم طه حسين ومؤيديه : النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى .

حسين أخيرا فى بعض الكتابات المصرية ، وهو ما يجعل منها ظاهرة مقلقة فى ثقافتنا المعاصرة . **ومصدر القلق اننا نبيح لانفسنا الحكم على الأشياء عن طريق ((السماع)) فنقع لذلك فى احكام ظالمة وغير صحيحة . ولو اخـذنا انفسنا الى الأصول لقراءاتها وتحليلها لجاءت احكامنا صحيحة ومنصفة .**

وفى موضوع طه حسين والشعر الجاهلي أرشح لهذه القراءة ثلاثة اعمال نبدأ باحدثها ، وهو راى مرجليوث فى كتاب ((فى الأدب الجاهلى)) المنشور فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية — اكتوبر ١٩٢٧ . ولهذا الراى أهميته وخطورته لانه اولا : يمثل وجهة نظر لا تزال غير معروفة للذين كتبوا عن طه حسين ، ولانها (كذا) ثانيا : صادرة عن طرف أصيل فى هذه القضية المزعومة ، قضية ((سطو)) طه حسين على اعمـال المستشرقين)) . ثم يترجم الدكتور مقال مرجليوث ، ثم يعقب عليه بقوله ان ((اتهام طه حسين بالسطو على افكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره فى هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يتمثل فى شيئين : الأول حقيقة ثابتة ، وهى أن العمليين كليهما قد نشرا فى وقت واحد تقريبا ، وان كلا من الكاتبين ... قد توصل الى آرائه مستقلا تماما عن الآخر . والثانى ان آراء مرجليوث فى الشعر تناقض آراء طه حسين . فمرجليوث ينكر ان يكون الجاهليون قد عرفوا نظم الشعر ، وان ما وصل الينا منه من صنع الشعراء المسلمين الذين احتذوا لغة القرآن ، بينما يذهب طه حسين الى الثقة فى وجود شعر جاهلى ، ولكن يتشكك فى صحة كثير من نصوصه التى وصلت الينا وكانت بسبب الرواة عرضة للوضع والتحريف ... الخ)) .

والحقيقة ان مرجليوث مجرح فى شهادته ، وهو عندى ليس افضل بل اسوأ من هؤلاء العاطلين الذين يتجمعون عند ابواب المحاكم فى انتظار من يطلبهم للشهادة بالأجرة ، فينصرون الباطل على الحق ، وكله بالفلوس . وحتى لا يظن بعض أننى متجن على هذا المستشرق أذكرهم بما سبق ان دللت عليه (فى هذه الدراسة) من خيانته لأمانة العلم ، اذ يملى له حقده أن يضع يديه على عينيه كيلا يرى حقائق التاريخ فيرمى رسـولنا الـكريم بانه ((شيخ

منسر » وأننا لا ينبغي أن نثق كثيرا بما يقول،وغير ذلك مما يدل دلالة جازمة على أن هذا الرجل فاقد العدالة،غير أهل للشهادة.ويضاف الى ذلك هذه المبادرة المريبة الى نفى أسبقيته على طه حسين ، وعهدنا بالمبدعين أن يحرصوا على اثبات سبقهم بكل سبيل حتى فى التافه واليسير من الأمر ولو كان صورة بيانية طريفة أو اشتقاقا جديدا مثلا . ان هذه أول مرة ، فيما أذكر ، أسمع فيها بكاتب ينفى أن يكون كاتب آخر قد تأثر به رغم تشابه فكرة هذا الكتاب مع فكرته.والسؤال الآن : على أى أساس عرف مرجليوث أن طه حسين لم يتأثر بما كتبه هو وقد كان بينهما آلاف الأميال وبحار وجبال ووهاد ومدن وقرى لا يحصيها الا خالقها ؟ أيكون مرجليوث من أهل الخطوة ونحن لا ندرى ؟ ألا يرى القارىء معى أن شهادة هذا الشاهد « المتبرع » بشهادته دون أن يطلب اليه أحد ذلك هى شهادة مجرحة ساقطة ؟ قد يقول بعض الذين يثقون بمرجليوث : ان هذا كلام نظرى ، ولا مانع أبدا أن تكون هذه خيانته لأمانة العلم فيما يتعلق بمحمد (هذا اذا عدوها خيانة !)،ومع ذلك يشهد فى حـــق طه حسين شهادة عـــادلة » . ومع ان هذا المنطق غير مقبول لدى ، لأن ما ذكرته عن هذا المستشرق كاف عندى تماما لرفض شهادته المريبة ، فانى أقول ، لا « على السماع » بل بالدليل الموثق الذى يصك هذا المرجليوث الكيذبان فى وجهه صكا : انك يا مرجليوث حين تقول أن بحثك عن « أصول الشعر الجاهلى » قد نشر فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية فى الوقت نفســه تقريبا الذى ظهرت فيه طبعة كتاب «فى الشعر الجاهلى» انما انت كاذب كاذب كاذب (كاذب بالثلث) ، فأنت تعلم جيدا انك نشرت بحثك فى المجلة المذكورة فى يولية ١٩٢٥ وأن طه حسين قد فرغ من تأليف كتابه فى أواخر مارس ١٩٢٦(٦٦) . فاذا أضفنا شهرا مثلا للطباعة كان بين ظهور بحثك

---

(٦٦) انظر أسفل ص ١٨٣ من كتاب/فى الشعر الجاهلى حيث يؤرخ طه حسين فراغه من تأليف الـــكتاب بـــ « ١٨ مارس سنة ١٩٢٦ » ، وكذلك أسفل صفحة الاهـــداء حيث يؤرخ كلمته الموجهة الى ثروت باشا رئيس

وظهور كتاب الدكتور طه حسين عشرة شهور ، اى قريب من سنة ، فكيف تقول عن كتابين بينهما هذه المسافة الزمنية انهما قد ظهرا فى نفس الوقت تقريبا ؟ ان هذا كذب بواح ، فعلام يدل ذلك(٦٧) ؟

وثمة دليل آخر على أن هذا المستشرق كذاب لا تقبل شهادته ، هو قوله « ان طبعة الكتاب الاول » (يقصد كتاب « فى الشعر الجاهلى ») ... قد سحبت من التداول لاحتوائها على بعض الفقرات التي يظن أن فيها مساسا بالقرآن »(٦٨) الا يعرف مرجليوث أن تلك الفقرات المشار اليها تخالف فعلا (لا ظنا) القرآن الكريم ؟ اننى لا احجر على احد ان يعتقد او يقول ما يشاء ، بيد أن هذا شىء والتغطية على معتقدات هذا « الأحد » وآرائه شىء آخر ليس من امانة العلم ولا القلم فى كثير ولا قليل .

ربما قال قائل : اننا نسلم بكذب مرجليوث وبأن الكتابين تفصل بين صدورهما فعلا عشرة شهور ، ولكن ما يدريك ؟ لعل المقالة لم تصل الى مصر الا بعد ظهور كتاب الدكتور طه . غير ان قائل هذا الكلام ينسى اننا نعلم على وجه اليقين ان عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية قد وصل مصر قبل صدور كتاب طه حسين بل قبل بدء العام الدراسى ومحاضرات الدكتور فى الشعر الجاهلى بوقت كاف جدا ، اذ اخبرنا الرافعى أن صاحب المقتطف قد اخبره فى سبتمبر ١٩٢٥ قبل فتح الجامعة ابوابها للسنة الجديدة

الوزارة بـ « ٢٢ مارس سنة ١٩٢٦ ». وانظر كذلك اشارة زوجته فى كتابها « معك » /ص ٧٨ الى انه انتهى من كتابه فى مارس ١٩٢٦ وانه كان بدأ كتابته فى يناير من نفس العام .

(٦٧) انظر ايضا سامح كريم/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرىء عميد ادبنا من اتهام استمر ٦٠ عاما/الصفحة الأدبية من اهرام الجمعه ١٩٨٦/١/١٧ حيث يردد رأى د. ابراهيم عبد الرحمن الموجود فى كتابه « بين القديم والجديد » ص ٤٤٠ — ٤٤٢ .

(٦٨) أهرام ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

بخبر مقالة مرجليوث ولخص له بعض ما فيها من افكار(٦٩) . والرافعى كما نعلم كان يعيش فى طنطا ، وليس قريبا من صروف يقابله باستمرار حتى يقال انه اخبره بخبر المقالة تو وصولها ، اى انه لابد انه يكون قد مر على وصول عدد المجلة الذى يتضمن المقالة بعض الوقت . كذلك يخبرنا الأستاذ شاكر بأن نسخة من هذا العدد قد وقعت فى يده قبل بداية العام الدراسى بوقت طويل .صحيح انه لم ينص على ان ذلك كان قبل بداية العام الدراسى « بوقت طويل » بصريح العبارة ، ولكن قوله : « ومرت الأيام ، وغاص كلام هذا الأعجمى فى لجج النسيان »(٧٠) ، ثم قوله بعد ذلك : « كان ماكان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقى محاضراته التى عرفت بكتاب « فى الشعر الجاهلى » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمى الذى غاص فى يم النسيان(٧١) له مغزاه . ان نص الأستاذ شاكر مرتين على انه كان قد نسى افكار مقالة مرجليوث عندما بدأ الدكتور طه محاضراته المذكورة يدل على ان قراءته لمقالة مرجليوث كان قد مر عليها وقت طويل ، وهو ما يجعلنى اعتقد ان العدد المذكور من المجلة الانجليزية قد ارسل فور صدوره الى مصر للمشتركين فيها ولمشاهير العلماء والكتاب كيعقوب صروف وكأحمد تيمور ، الذى أعطى نسخته لشاكر ليقرأها . فاذا عرفنا ان المجلة تصدر فى لندن ، اى عاصمة عواصم العالم فى ذلك الوقت وعرفنا الدقة الانجليزية (وبخاصة ان المجلة تصدر عن اكبر هيئة علمية فى مجالها) وعرفنا مدى انضباط وانتظام البريد الانجليزى (وبالذات فى تلك الأيام) تبين لنا ان المجلة لابد ان تكون قد ارسلت الى مصر فور صدورها ، وان وصولها لم يستغرق الا وقت البريد فقط ، وهو لا يزيد عن ايام معدودات. ولتوضيح ذلك أحيل القارىء على التاريخ الذى كتب فيه د. طــه حسين

---

(٦٩) انظر تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

(٧٠) شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ ، ١٧ .

(٧١) المرجع السابق/ص ١٨ .

مقدمة كتابه « في الأدب الجاهلي » وهو ١١ مايو ١٩٢٧ ، وعـدد المجـلة المذكورة الذى ظهر فيه عرض مرجليوث لهذا الكتاب ، عدد يوليه ١٩٢٧(٧٢). فاذا قدرنا لطبع الكتاب شهرا مثلا ، فمعنى ذلك أنه قد ظهر في النصف الأول من يونيه ١٩٢٧ . كذلك إذا قدرنا ان قراءة مرجليوث له وكتابته لعرضه قد استغرقتا نحو عشرة أيام ، فانه لا يبقى بين صدور الكتاب ووصوله الى يد مرجليوث فى بريطانية الا عدة أيام ، هى المدة التى يستغرقها البريد بين مصر وبريطانيا . وهو ما يؤكد ان انتقال المجـلة المذكورة فى الاتجـاه المعـاكس (أى من بريطانية الى مصر) لم يستغـرق الا أياما معـدودة كما قلنـا .

ولعل بعضا يقول : ربما لم تصل الى مصر الا هاتان النسختان . ولكن قائل هذا يتجاهل انه كان فى مصر فى ذلك الوقت ، بحكم الاحتلال على الأقل ، أعداد كبيرة من المستشرقين والمثقفين الأوربيين المهتمين بما تنشره هذه المجلة وامثالها من المباحث . وكان فى كلية الآداب وحدها عدد من الأساتذة الأوربيين المستشرقين الذين يلقاهم طه حسين صباح مساء فى الجامعة ويزورونه فى بيته على الأقل فى الأسبوع مرة (كما سبق أن عرفنا من السيدة زوجته)(٧٣)، فهل من المعقول ان نظن ان كلا من احمد تيمور ويعقوب صروف يحصل على نسخة من هذه المجلة (هدية أو اشتراكا أو من اى سبيل آخر) ولا يحصل عليها أولئك المستشرقون والأساتذة الأجانب الذين كانوا حول طه حسين فى الجامعة وفى بيته ، وهذه المجلة انما انشئت بجهود هؤلاء المستشرقين ومن أجلهم ، يحررونها ويقراونها ؟ واذا وصلت الى ايدى هؤلاء ، ولابد ان تصل وتكون بين ايديهم اثر صدور كل عدد منها بأيام قليلة هى المدة التى يستغرقها البريد كما قلت ، فهل سيكتمون ما فيها من علم عن طه حسين وهو زميلهم وصديقهم الحميم المتحمس لهم ولحضارتهم وآدابهم ونظرياتهم وأفكارهم ؟

---

(٧٢) ص ٩٠٢ — ٩٠٥ .

(٧٣) « معك » ص ٧٤ — ٧٥ .

لم ترى يعقوب صروف والمرحوم احمد تيمور أحرص على اطلاع الرافعى وشاكر (وشاكر كان فى ذلك الوقت تلميذا على مشارف الجامعة) على ما قال مرجليوث ، من هؤلاء المستشرقين والأساتذة الأجانب أصدقاء طه حسين على اطلاعه عليها ؟ وحتى لو افترضنا جدلا انهم لم يخبروه من تلقاء أنفسهم بخبرها ولم يترجموها له ، اليس اتفاق مجلس الجامعة على أن يدرس هو الأدب العربى فى هذا العام الدراسى التالى لظهور مقالة مرجليوث يجعلنا نعتقد أنه لابد أن يكون قد سأل وبحث عن المراجع اللازمة لتدريس تاريخ الشعر الجاهلى وأن بعضهم قد أخبره بهذه المقالة باعتبارها آخر ما ظهر واحدث صيحة فى دوائر المستشرقين فى عالم النظريات الأدبية ؟

ان للدكتور ابراهيم عبد الرحمن موقفا فى هذه المسالة يحسن أيراده هنا . انه مثلا يذكر(٧٤) أن مقالة مرجليوث ظهرت فى يولية ١٩٢٥ وكتاب طه حسين « بعد ذلك بشهور ، فى أوائل ١٩٢٦ » (وان لم يحدد الشهر الذى ظهر فيه الكتاب ، وقد قلت أنه أبريل على أسرع تقدير) . وهو ما تجاهله عند ترجمته لمقالة مرجليوث والتعليق عليها فى عدد الأهرام ١٩٨٦/٢/٧ ، على ما مر بنا ، بل تجاهله ايضا فى نفس كتابه السابق (بعد ذلك بصفحة واحـــدة) حين ساق ترجمة جـــزء من عرض مرجليوث لكتاب « فى الأدب الجاهلى » وفيها ، كما نعرف ، أن البحثين قد ظهرا فى نفس الوقت تقريبا ، وكان ينبغى على الدكتور ابراهيم أن يوضح أن المستشرق هنا يكذب ، لأن فرق عشرة شهور (على الأقل) لا يوصف بأنه « نفس الوقت تقريبا » . كذلك يلاحظ أنه فى الجزء الذى ترجمه من عرض مرجليوث المذكور (أم ترجمه د. عبد الله المهنا ؟)(٧٥) قد وردت هذه العبارة (من كلام مرجليوث طبعا) عن كتاب طه حسين : « وفكرة الكتاب مشابهة لتلك الفكرة التى أدرت حولها

---

(٧٤) فى كتابه « بين القديم والجديد »/ص ٤١٤ — ٤٤٠ .

(٧٥) انظر « بين القديم والجديد »/ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

بحثي عن « أصول الشعر العربي »(٧٦) ، على حين أن هذه العبارة في الترجمة الكاملة لعرض مرجليوث ، التى نشرت فى أهرام ١٩٨٦/٢/٧ قد أصبحت : « وفكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التى أدرت حولها بحثى عن « أصول الشعر الجاهلى »(٧٧) . وليس من شك فى أن هناك فرقا كبيرا بين الكلامين . ومع ذلك فقد تجاهل الدكتور أن يعلق بما يكشف عن السر فى ذلك .

وهذا يعودنا الى ما ذكره تعليقا على عرض مرجليوث من أن اتهام طه حسين بالسطو على أفكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره فى هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يتمثل فى شيئين : الأول حقيقة ثانية وهى أن العملين كليهما قد نشرا فى وقت واحد ... الخ (وهذه قد فرغنا من اظهار ما فيها من كذب) ، والثانى أن آراء مرجليوث فى الشعر تناقض آراء طه حسين ، فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظام الشعر ... بينما يذهب طه حسين الى الثقة فى وجود شعر جاهلى ولكنه يتشكك فى صحة كثير من نصوصه ... وهو لذلك يلح فيما يسميه مرجليوث الجزء البناء من كتابه على استكشاف مقياس نقدى للتمييز بين الشعر الصحيح (كذا) » . وسؤالنا هو : هل قال مرجليوث هذا ؟ هل قال مرجليوث أو فهم من كلامه على الأقل أن آراه فى الشعر الجاهلى تناقض آراء طه حسين ؟ أن مرجليوث قد ذكر بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن أن « فكرة الكتاب (يقصد كتاب « فى الشعر الجاهلى ») مماثلة الى حد كبير للفكرة التى أدرت حولها بحثى عن « أصول الشعر الجاهلى »(٧٨) . » اذن ففكرتا البحثين متماثلتان ، والى حد كبير ، لا متناقضتان كما جاء فى تعقيب الدكتور

---

(٧٦) السابق/ص ٤٤١ .

(٧٧) عبارة الأصل الانجليزية هى :

انظر عدد يولية ١٩٢٧ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية/ص ٩٠٢

(٧٨) أهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

ابراهيم . هذه واحدة ، اما بالنسبة للجزء البناء (كما يسماه مرجليوث) ، وهو الجزء الذى يحاول طه حسين فيه ان يرسى اسسا جديدة لتمحيص صحيح الشعر الجاهلى من زائفه ، فلنسمع مرة اخرى ما قاله هذا المستشرق فيه . قال : « ولكن قيمة هذه النظرية (يقصد وجود مدارس شعرية ، فى راى طه حسين ، قرب ظهور الاسلام) قد اهتزت الى حد ما بتاكيد المؤلف ان كثيرا من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء (يقصد مدرسة أوس بن حجر ، التي تنتهى بجميل بثينة) شعر موضوع ، وملاحظة ان القصة الوحيدة الباقية عن أوس من صنع خيال سقيم ، وان الرواة الذين وصل الينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم وبين آخرهم زمن طويل . ولذلك فان النقض من نظرية طه حسين لا يزال اقوى اجزاء الكتاب واكبرها تاثيرا فى الدراسات الادبية فى العالم العربى (وهذه أيضا غير صحيحة ، فقد راينا كبار الدارسين لتاريخ الأدب العربى يرفضون هذه النظرية المتهافتة) .

اذن فليس تناقض بين الكتابين على الاطلاق ، ولا قال بهذا مرجليوث . وكيف يقول بهذا فى الوقت الذي لا يوجد فيه الا فرق ضئيل بين فكرته وفكرة طه حسين ، اذ ان هذا الأخير وان لم ينف الشعر الجاهلى كله قد ضيق الباب تضييقا شديدا فلم يسمح بمرور شيء من هذا الشعر الا ببالغ الصعوبة ؟ الطريف ان الدكتور ابراهيم ، الذى قال فى اهرام ١٩٨٦/٢/٧ انآراء مرجليوث تناقض آراء طه حسين هو نفسه الذى كان قد قال قبل ذلك فى كتابه « بين القديم والجديد » ان آراء طه حسين ومرجليوث قد تشابهت وان لم تتطابق تماما . ومرة اخرى نراه لا يهتم بتوضيح هذا الاضطراب .

سيقول الأستاذ الدكتور : ولكن « ليس هناك شك فى ان تاليف طه حسين لهذا الكتاب قد مر ، مثل اى كتاب يؤلفه اى كاتب ، بمراحل معينة لها اهميتها فى الكشف عن طبيعة الصلة بينكتابه وبحث مرجليوث . فقد بدأ بتدريسه ، كما يقول الأستاذ شاكر ، للطلاب فى شكل محاضرات ظل يرددها على مسامعهم عاما بعد عام ، حتى اذا ثبت له صحة ما انتهى

اليه فى رواية هذا الشعر الذاعه على الناس فى شكل كتاب »(٧٩) . ويؤسفنى ان اقول ان الأستاذ شاكر لم يقل هذا ولا يمكن ان يقول هذا ، والا فانه يكون قد كذب نفسه بنفسه ، اذ هو قد اتهم الدكتور طه حسين امام زملائه الطلبة فى سنة ١٩٢٦ ، ولا يزال يتهمه حتى الآن ، بانه سطا على افكار مرجليوث . وقد كان من اثر ايمانه بهذا الاتهام ان ترك كلية الآداب والجامعة كلها ولم يكمل تعليمه الرسمى . وعلى رغم انى قد اشرت قبلا الى كلام الأستاذ شاكر فى هذه النقطة واوردت بعضه فانى سأسوقه هنا ثانية لاهميته فى الرد على هذه الدعوى الخطيرة التى ان صحت لقلبت القضية راسا على عقب . قال الأستاذ شاكر عن لقائه بالأستاذ احمد تيمور ، الذى اعطاه فيه مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (عدد يولية ١٩٢٥ المنشورة فيه مقالة مرجليوث) : « جاء يوم فالتقينا ، على عادتنا يومئذ (سنة ١٩٢٥) ، فى المكتبة السلفية عند استاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكد يجلس حتى مد يده الى بعدد من مجلة انجليزية (عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية) ، وقال لى وهو يبتسم : اقرأ هذه ! فاذا فيها مقالة للأعجمى المستشرق مرجليوث تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ، بعنوان « نشأة الشعر العربى » ... ثم بعد أيام لقيت أحمد تيمور باشا ، وأعدت اليه المجلة ... ومرت الأيام وغاص كلام هذا الأعجمى فى لجج النسيان ... (الى ان يقول :) كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقى محاضراته التى عرفت بكتاب « فى الشعر الجاهلى » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمى الذى غاص فى يم النسيان »(٨٠) . لا جدال فى ان الفرق بين كلام الأستاذ شاكر وما نسبه اليه الدكتور ابراهيم عبد الرحمن واضح تمام الوضوح وخطير جد خطير . وهو يعنى أن الأستاذ شاكر لم يقل من قريب او من بعيد ان الدكتور

---

(٧٩) بين القديم والجديد/ص ٤٤٠ .

(٨٠) المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ — ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

طه كان يحاضر فى موضوع الشعر الجاهلى عاما بعد علم . وكيف يمكن ان يقول ذلك وطه حسين لم يحاضر فى موضوع الشعر الجاهلى ، بل لم يحاضر فى اى موضوع من مواضيع الأدب العربى فى الا فى السنة الدراسية ٢٥ — ١٩٢٦ ،حين تحول من تدريس التاريخ اليونانى والرومانى الى تاريخ الأدب العربى(٨١) ؟ بل انه حتى فى مقالاته عن الأدب العربى التى كتبها قبل هذا التاريخ والتى نشرها بعد ذلك فى « حديث الأربعاء » ليس فيها ولا مقالة واحدة عن الشعر الجاهلى . انما ابتدأ يتناول بالتحليل والتذوق قصائد جاهلية منذ سنة ١٩٣٥ ، اى أن الشعر الجاهلى قبل العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ لم يشغل طه حسين ولا حاضر فيه ولا كتب عنه ، على خلاف مرجليوث (وهذه نقطة هامة جدا) ، الذى كان مشغولا بهذا الموضوع منذ سنة ١٩٠٥ على الأقل ، عندما أصدر كتابه Mohammed and the Rise of Islam الذى وردت فيه عبارة تلخص نظريته فى الشعر الجاهلى تلخيصا محكما فى كلمات قلائل ، هذا نصها بالانجليزية : The early Poetvy is Largely fabricat on modelled on the Koran (٨٣)

(ومفادها انه يرى أن الشعر القديم (يقصد الجاهلى) ملفق الى حد كبير على غرار القرآن)(٨٤) ، والذى ظل مشغولا به الى ان كتب مقالته المذكورة ، بدليل انه عاد فلمس هذا الموضوع مرة أخرى وابدى شكه فى صحة الشعر الجاهلى فى مقالة يعرض فيها كتاب « الخصائص » لابن جنى وذلك سنة ١٩١٦(٨٥) ، وكذلك فى مادة « محمد » ، التى كتبها لـ Encyclopaedia of Religion and Ethics حيث يقول ما ترجمته « ومن ... غير المحتمل

---

(٨١) انظر سامح كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٨١ ، ١٤٢ ، ود. عبد الرحمن بدوى/الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين/ص ١٤ .

(٨٢) قارن تواريخ مقالات القصائد الجاهلية مع مقالات القصائد الأموية فى هامش الصفحة الأولى من كل مقال ، وسوف يتبين لك هذا .

(٨٣) ص/٦٠ .

(٨٤) انظر أيضا د. ناصر الدين الاسد/ص ٣٥٢/ هـ ١ .

(٨٥) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع نفسه .

ان يمثل الشعراء والعرافون الذين سبقوا محمدا (عليه الصلاة والسلام) مرحلة من التعليم ارقى . من هنا ، وبناء على التسلسل الطبيعى ، يبدو ان اسلوب القرآن يتوسط بين الشخشخات الساذجة التى كانت تؤخذ فى جزيرة العرب على انها نظم للشعر وبين تلك القصائد المصنوعة الى حد كبير التي نقابلها في العصر الأموى . ويترتب على ذلك أن الشعر الجاهلى ايضا ، ذلك الشعر الذى ينتمى ظاهريا الى عصر النبى والخلفاء الراشدين هو شعر موضوع ... الخ »(٨٦) ، اى ان طه حسين لم يسبق له قبل العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ ان شغله الشعر الجاهلى ، على عكس مرجليوث الذى كانت بذور نظريته موجودة فى ذهنه بحيث انه كلما تناول موضوعا متصلا بالشعر الجاهلى نبتت من هذه البذور اعشاب . وما ان انتصف عام ١٩٢٥ حتى راى المتابعون للدراسات الاستشراقية (ولا شك عندى أن طه حسين بوصفه واحدا من هؤلاء المتابعين قد راى معهم) هذه الأعشاب قد تكاثرت وانتشرت واستطالت سيقانها وأصبحت نظرية مفصلة تقع فى اكثر من ثلاثين صفحة من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية فى ذلك الحين (وهو ما يقابل ثلث كتابه « فى الشعر الجاهلى » تقريبا ، لأن هذه الصفحة تساوى صفحتين او اقل قليلا من صفحات هذا الكتاب) ، بل انى أرجح أن الدكتور طه كان على علم بهذه النظرية فى مرحلتها الجنينية ، فقد كان متصلا ببيئة المستشرقين فى فرنسا وبعد عودته منها ، والمستشرقون عالم متصل بعضه ببعض اتصالا وثيقا ، عن طريق الندوات والمؤتمرات والمراسلات والدوريات وتهادى الكتب ، الى جانب العلاقات الشخصية والزيارات . وليس من المعقول ان مرجليوث لم يكن يتكلم مع زملائه وأصدقائه من المستشرقين شفاها او كتابة عن نظريته هذه بشىء من التفصيل ، ولو ليسألهم العون او على الأقل ليستأنس بآرائهم ، بل اغلب الظن انه كان يحاضر فيها طلابه فى جامعة

---

(٨٦) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع السابق حيث يشير الى موضع هذا النص ، ولكنه لا يورده .

اكسفورد ، بل ان من الجائز جداً ان يكون مرجليوث قد اتم مقالته المذكورة قبل يولية ١٩٢٥ (تاريخ صدورها) بوقت (طويل أو قصير) . اذ ليس شرطا ان ينشر الكاتب انتاجه بمجرد الفراغ منه . واغلب الظن ايضا ان اصداء من هذا كله كانت تبلغ اذن طه حسين .

وثمة سبب آخر جد هام يجعلنى استبعد عدم اطلاع طه حسين على بحث مرجليوث وتاثره به ، وهو ان الدوافع التى يلتقيان عليها فى الشك فى الشعر الجاهلى ليست مما يدخل فى باب « توارد الخواطر » ، بل تحتاج الى ذهن مركب تركيبة خاصة كذهن مرجليوث ، الذى كان يتشكك فى كل شيء يتصل بالاسلام والأدب العربى ، ولذلك ما كان يقع على الحبة حتى يجعل منها قبة . فاذا قال القدماء ان فى الشعر الجاهلى قصائد منحولة جاء هو وقال : بل كله منحول ، وهكذا . كذلك فان ما خالف به الدكتور طه حسين مرجليوث فى اصل فكرته ، أعنى استثناءه من شكه بعض الشعر الجاهلى ، هو شيء جد ضئيل لا يؤبه به . وعلاوة على ذلك فان قيمة هذا الجزء من فكرة طه حسين ، بنص كلام مرجليوث ، الذى يعده بعض الباحثين « صك غفران » لطه حسين (ناسين ان البابا الذى اصدره هو باب اثيم لاثقة فى احكامه ، فضلا عن انه لاحق له اصلا فى اصدارها) « قد اهتزت الى حد ما ، بتأكيد المؤلف ان كثيرا من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء شعر موضوع ، وملاحظة ان القصة الوحيدة الباقية عن أوس من صنع خيال سقيم ، وان الرواة الذين وصل الينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم (كذا) وبين آخرهم زمن طويل ، ولذلك فان جزء النقض (يعنى الجزء الذى يوافق فيه مرجليوث) لا يزال اقوى اجزاء الكتاب » .

---

(٨٧) د. ابراهيم عبد الرحمن/الى خصوم طه حسين ومؤيديه .. النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى/أهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ .

والحقيقة ان طه حسين فى هذا الجزء لم يقدم شيئا يدخل العقل ويبدو متناقضا مع نفسه ، اى انه حين يتبعد عن مرجليوث لا يستطيع ان يصنع شيئا ، مما يدل على انه قد استقى فكرته الأساسية وكثيرا من تفصيلاتها من هذا المستشرق .

اما اتكاء الصحفى سامح كريم على ما نسبه الى الدكتور حسين نصار من ان طه حسين لم يكن يعرف الانجليزية ، ومن ثم فانه لم يترجم ما فى مقالة مرجليوث ويتاثر بها فهو آخر شىء يمكن ان يتوقعه الباحث(٨٨) . واقل ما يوصف به هذا الدفاع هو انه هزل ليس بالجد ، اذ من قال ان الانسان لا يستطيع ان يعرف شيئا الا اذا كان على علم باللغة التى كتب بها ذلك الشىء ؟ ان معظم الناس يعرفون اشياء كثيرة من آداب الأمم المختلفة وافكارها وهم لا يعرفون الا لغة قومهم . وليس شرطا ان يكون ذلك عن طريق الترجمة، بل ما اكثر ان يتم طريق العرض والتلخيص مثلا ، وقد يكون ذلك شفويا (فى ندوة او محادثة ... الخ) . ثم انى اسأل سؤالا واحدا : وهل كان الرافعى يعرف الانجليزية ؟ والجواب بالطبع : كلا . أننكر اذن معرفته بمقالة مرجليوث ومضمونها ؟ ان الرجل قد أخبرنا ان يعقوب صروف قد أخبره بخبر هذه المقالة واطلعه على ما فيها من آراء . وقد سلف أن قلت ان هذه أمانة علمية من الرجل . وأضيف هنا أن هذه الأمانة قد حرم منها ، فيما يبدو ، بعض الناس الذين تشير الدلائل الى أنهم قد عرفوا مقالة مرجليوث وما فيها ومع ذلك ينكرون وينكر أولياؤهم ذلك انكارا شديدا .

---

(٨٨) انظر مقالة/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرىء عميد ادبنا من اتهام استمر ٦٠ عاما/أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ .

هل استوحى طه حسين نظريته فى الشعر الجاهلى من رينان ؟

ان عبد الرشيد الصادق يسوق لنا رد طه حسين على السؤال التالى الذى بعث به ظاهر مفتاح ، الباحث التونسى : « يميل بعض المستشرقين ، عن غير حق فى رايى ، الى ان يلتمسوا مصادر « فى الشعر الجاهلى » فى الدراسة التى كتبها مرجليوث عن الشعر القديم ، بدلا من ان يلتمسوها فى الأدب الفرنسى ، فما رأيك انت »(٨٩) ؟ وقبل ان اورد رد الدكتور طه حسين انبه القارىء الى الطريقة المضحكة التى وضح بها الباحث التونسى سؤاله . انه بعد ان « يكتف » طه حسين بالمبادرة بقوله انه لايعتقد صحة أخذه فكرة مرجليوث ، يتظاهر بأنه يريد أن يعرف الحقيقة منه . وهل يعقل ان يعترف طه حسين على نفسه ويهدم مجده ويعطى خصومه سلاحا يحاربونه به ، وبخاصة امام مثل هذا الولى المتحمس الذى اصدر حكم البراءة قبل جلسة المحكمة ؟ هل يظن طاهر مفتاح اننا يمكن ان نتوقع أن يدق طه حسين بيده مسمارا فى نعش شهرته ؟ اما بالنسبة لسامح كريم وغيره ، الذين يرون أن مرجليوث قد أصدر وثيقة البراءة القاطعة لطه حسين ، فانى أقول : وماذا تفعلون فى المارجوليثين (اقصد « المستشرقين ») الاخرين الذين ذكر طاهر مفتاح انهم يلتمسون مصادر طه حسين فى مقالة مرجليوث ؟ ومع ذلك فاننا لا نعتمد الا على منطق الوقائع التاريخية الثابتة وطبيعة الأمور وسياقها والمقابلة بين النصوص .

والآن انقل للقارىء رد طه حسين ، الذى لم يكن امامه (على ما وضحنا) غيره . قال : « أن المستشرقين الذين يعتقدون أننى تأثرت بمرجليوث عندما كتبت « فى الشعر الجاهلى » مخطئون بالتأكيد ، فأنا لم اقرأ دراسة مرجليوث الا بعد سنة من صدور كتابى » . أيا ما يكن الأمر فطه حسين ليس بالذى يعلو

---

(٨٩) من مقالة عبد الرشيد الصادق/فى ذكرى رحيل طه حسين (٢) . العميد ومرجليوث وفصل الخطاب/اهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ (*)

كلامه على المناقشة ، فما اكثر ما قال ثم تنكر لما قاله ! وعلى كل حال فمن قال ان عدم قراءته الكتاب (لو صح ما قاله) تمنع ان يتأثر بما فيه ؟ لقد عرف الرافعي مثلا مضمون الكتاب نفسه من غير ان يقراه . هذا ، ولا يفوتني هنا ان أبين تهافت منطق من احتجوا بجهل طه حسين بالانجليزية بأن اسألهم السؤال التالي : وكيف استطاع طه حسين ان يقرا هذه الدراسة ، كما يقول ، بعد سنة من صدور كتابه ؟ أتراه قد اتقن الانجليزية في هذه المدة ؟

ولكن عبد الرشيد الصادق يتجاهل هذه الصلة الواضحة بين مقالة مرجليوث وكتاب الدكتور طه ويحاول ان يقنعنا ان طه حسين انما استمد فكرته من رينان . وهو حين يفعل ذلك لا يعتمد على هذه الشبهة المضحكة التي ظن سامح كريم أنها شيء ، وما هي بشيء ! شبهة جهل طه حسين بالانجليزية ، فعبد الرشيد صادق ليس مجرد ملخص لما يقوله بعض الآخرين ، شأن سامح كريم ، بل يطمح الى ان يأتي بفرض جديد .

والفرض الذي يقدمه عبد الرشيد الصادق يتلخص في : ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث قبل ان يكتب كتابه « في الشعر الجاهلي » بل بعدها بعام ، وأن خطة بحثه تختلف عن خطة مرجليوث ، وأن الدليلين اللذين اعتمد عليهما (فيما اعتمد عليه) مرجليوث ، وهما الدليل اللغوي والدليل الديني ، كانا معروفين للمستشرقين الذين الذين تناولوا هذا الموضوع قبل هذا المستشرق الانجليزي ، وان طه حسين بالنسبة لهذين الدليلين قد تأثر برينان .

هذا هو الفرض الذي عرضه عبد الرشيد الصادق واراد اثباته على مدى ثلاثة اسابيع في الصفحة الأدبية باهرام جمع ١٩٨٦/١٠/٣١ و ٧ /١١/ ١٩٨٦ . وسنتناول بالمناقشة عناصر هذا الفرض عنصرا عنصرا .

فأما بالنسبة للعنصر الاول ، وهو ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث الا بعد ان فرغ من كتابه بعام ، فقد ساق الباحث قول طه حسين المتضمن هذا المعنى ، والذي ناقشناه قبل قليل ، وانتهينا الى انه موضع

شك كبير ، بل وجــدنا فيه ابلغ رد على هــؤلاء الذين اعتمدوا على جهله بالانجليزية فى نفى تاثره ببحث مرجليوث . وعلى هذا فانى لا اجد داعيا الى اعادة تفنيده هنا . بيد ان عبد الرشيد الصــادق لا يكتفى بهذا الدليل بل يستشهد قبل ذلك بخطاب اوردته السيدة زوجة الدكتور طه حسين فى كتابها عن ذكرياتها معه وقالت انه ارسله اليها اثناء تاليفه الكتاب . وهذا نصه : « منذ الأمس لم اكف عن العمل الا من اجــل ان اطعم وانام . اننى متعب قليلا ، لكنى سعيد جدا . انك تعرفين هذا النوع من الرضا الذى يعقب القيام بالواجب ، وذلك الشعور بان المرء على مستوى الرسالة التى كلف بها برغم المصاعب التى يواجهها . لا ادرى ان كان الطلبة يفهموننى ، لكنى كنت سعيدا وانا القى درسى قبل قليل ، فأبحاثى الشخصية تصل بى الى نتائج كبار المستشرقين نفسها . اتدرين اننى قررت الا اقرأ ابحاثهم الا بعد ان انجز ابحاثى لكى اكون على علم بها فقط ؟ »(٩٠) .

والحقيقة اننا فى الظروف الحالية لا نستطيع ان نتأكد من صحة هــذا الخطاب أو زيفه عن طــريق فحص الورق والحبر والخــط الذى كتب به ومقارنته بخط الشخص الذى تنسب اليه كتابته ، اذ ليس هذا الخطاب بين أيدينا . ولا يصحن ان يقال ان علينا ان نقبل كلام السيدة زوجة الدكتور طه حسين دونما مناقشة ، فان البحث العلمى لا يعرف هذه الاعتبارات . واذا كنت قد وضعت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وأقواله بل تاريخه كله ، وهو من هو ، تحت مجهر البحث العقلى المجرد فى كتاب لى صدر من قبل(٩١) ، فلا اظن ان القارىء يتوقع منى أن آخذ كلام السيدة المذكورة ماخذ التسليم لمجرد أنها قالته ، وبخاصة ان فى كتابها ما يجعلنى اتردد كثيرا فى التسليم بما تقول فى مثل هذه القضايا . ولن اذهب بعيدا ، ففى الصفحة السابقة على تلك التى ورد فيها نص الرسالة السابقة تتحدث عن الدسائس

---

(٩٠) وانظر أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧/ بالصفحة الأدبية .

والمؤامرات ضد طه حسين فى الجامعة ومخالفة القانون من اجل الكيد له وحرمانه من الدرجة والمرتب اللذين يستحقهما ، وكذلك عن عجز ظروف طه حسين عن تأمين مورد ثابت له ولأسرته . ووجه الشك فى هذا الكلام أن طه حسين بعد أشهر فقط من هذا التاريخ كان يقضى اجازة الصيف ، كما هى عادته ، فى فرنسا ، فهل يمكن أن يقوم بهذه الرحلة ، فضلا عن أن يفكر فيها ، رب أسرة يعجز عن توفير مورد ثابت لها ؟ بل ماذا تفعل الجنيهات القليلة التى كان يقبضها من الجامعة والصحف التى يكتب لها فى مواجهة رحلة مثل هذه ، زائد الاقامة طوال الصيف فى بلد كفرنسا مستوى المعيشة فيه مرتفع بمالا يقاس بمصر فى ذلك الحين ؟ ثم هل يسهل أن نصدق ان طه حسين وكان لا يزال فى أول الطريق فى الجامعة فى ذلك الوقت ، طه حسين الذى كان وراء استقدام كازانوفا ، بما يعنى أنه ذو نفوذ فى الجامعة يمكنه أن يستقدم من يريد من المستشرقين ليحاضروا فى الجامعة ، طه حسين الذى لم يستطع أحد أن يمسه فى ذلك الحين حين ثارت زوابع قضية الشعر الجاهلى لوقوف الجامعة ومدير الجامعة ورئيس الوزراء وراءه ، بل طه حسين الذى نص بشأنه هو وحده من بين الأساتذة الآخرين ، فى عقد تحويل الجامعة من اهلية الى حكومية ، على أن يتحول معها ولا يمس كأنه جزء لا يتجزأ من الجامعة ، طه حسين هذا تحاك له المؤامرات فى الجامعة ، وفيها أصدقاؤه من المستشرقين والأساتذة الأجانب كما نعرف(٩٢) ؟ ثم ان تعصب هذه السيدة الشديد والخالى من أصول اللياقة ضد كل من رد على زوجها فى هذه المسألة التى ليست من اختصاصها وكان ينبغى ألا تزج بنفسها فيها يجعلنا نستقبل كل ما تقوله فى هذا الأمر بحذر شديد . لقد بلغ من تعصبها انها وصفت الجماهير المصرية بالجهل والتعصب . وهما نفس الوصفين اللذين أتحفت بهما علماء الدين المسلمين والكتاب وأعضاء البرلمان الذين استنكروا أقوال زوجها الطاعنة فى الدين

---

(٩٢) انظر « معك »/ص ٧٤ .

وفى الشعر الجاهلى(٩٣) ، على حين تصور الأوروبيين والقساوسة كأنهم ملائكة ذوو أجنحة بيضاء . ليس هذا فقط ، بل اننا نلاحظ أن طه حسين يتحدث لزوجته فى الخطاب المذكور عن محاضراته فى الجامعة كأنها شىء لا علم لها به ، مع أن زوجته كانت فى أبى قير، اى داخل مصر . يعنى لم تغب عنه الا اياما ، بما يفيد أنها لا شك كانت على علم بهذه المحاضرات ، التى يقول زوجها لها أنه لا يعرف ايفهمها الطلبة أم لا ؟ . وهذا يقودنا الى السؤال التالى : وهل ما قاله طه حسين فى الشعر الجاهلى من الصعوبة بحيث لا يمكن أن يفهمه طلبته ؟ وهل يمكننا أن نصدق أن أحدا من الطلبة ، واحدا فقط ، لم يناقش طه حسين ، ولا نقول يخطئه ، فى آرائه عن هذا الشعر حتى لا يعرف طه حسين أيفهمه الطلبة أم لا ؟ فأين ذهب محمود شاكر ، وكان من طلبته فى ذلك العام ، وقد ناقشه أكثر من مرة بل اعترض عليه ، فى داخل المحاضرة وخارجها ، ولم تنحصر هذه المناقشات والاعتراضات فيما بين الطالب (وزملائه ايضا طبعا) وبين الأستاذ ، بل امتدت حتى دخل فيها بعض المستشرقين مثل نلينو وجويدى(٩٤) ؟ ثم أن الخطاب بلا تاريخ محدد ، فكيف فات هذا السيدة المذكورة ، وهى أوربية تعرف قيمة التواريخ بالنسبة للرسائل والمذكرات ؟

ومع ذلك كله (وقد نكون أخطأنا فى بعضه ، بسبب عدم التحديد الذى يتشح به كل من الخطاب والظروف التى قيل انه كتب فيها) فسوف نسلم به وبما جاء فيه ، فما الذى وجده فيه عبد الرشيد الصادق مما ينفى معرفة طه حسين بمقالة مرجليوث الا بعد أن بلغ فى محاضراته عن الشعر الجاهلى مرحلة متقدمة كما يقول ؟ قبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن أبين للقارىء كيف أن هذا الباحث يتناقض من مقال لآخر . انه يقول هنا أن طه

---

(٩٣) المرجع السابق/ص ٥٨ ، ٧٨ .

(٩٤) انظر هذه القصة فى كتاب الأستاذ شاكر/المتنبى/ السفر الأول/ ص ٢٠ — ٢٤ .

حسين قد أتاه نبأ مقالة مرجليوث وقد بلغ من محاضراته مرحلة متقدمة (وقد حدد تاريخ هذه المحاضرات بعد سطور بالعام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) ، ولكنه فى المقالة التالية يقول : « ان العميد كان يلقى محاضراته **قبل عام** على الاقل من اصدار الكتاب ، اضافة الى اقوال مرجليوث نفسه التى **تؤكد** سبق صدور كتاب طه حسين على صدور كتاب « المستشرق »(٩٥) . فكيف بالله يتسق قوله ان نبأ مقالة مرجليوث قد اتى طه حسين وهو يلقى محاضراته فى الشعر الجاهلى فى عام ٢٥ — ١٩٢٦ (اى لأول مرة ، لأنه قبل ذلك كان يحاضر فى التاريخ اليونانى والرومانى) مع قوله بعد أسبوع واحد ان طه حسين كان قد حاضر فى موضوع الشعر الجاهلى عاما على الأقل من قبل ؟ (الحمد لله على كل حال أن هبط بالفرق عاما (وان تحفظ بقوله **« على الأقل »)** بعد أن كان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن قد جعله عاما بعد عام ، أى عدة أعوام) . بل ان الباحث تبلغ به الجراة أن يقول فى ثقة يحسد عليها أن كتاب طه حسين قد ظهر قبل (كتاب) مرجليوث بعام باعتراف مرجليوث نفسه . والواقع أن هذا اضطراب شنيع وجدال عقيم مزعج يتنافيان مع أوليات المنهج العلمى وأمانة القلم . فأولا ، لم يحدث أن قال مرجليوث ان كتاب طه حسين قد صدر قبل « كتابه » (ودعنا من تسمية « مقالة » مرجليوث كتابا) ، بل كل ما قاله بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن لتعليق مرجليوث على كتاب « فى الأدب الجاهلى » لطه حسين ، ذلك التعليق الذى أدار عليه سامح كريم جانبا كبيرا من مقالة له فى نفس الصفحة الأدبية ، بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ (اى قبل مقالة عبد الرشيد الصادق ، الذى تحتفى به هذه الصفحة جدا بما يعنى انه على اتصال بها وثيق بنحو عشرة أشهر) أن « البحث الذى أتمه صاحب هذا المقال (مرجليوث) عن أصول الشعر العربى ... نشر فى نفس الوقت الذى نشر فيه طه حسين كتابه ». وقد سبق أن بينا بالدليل القاطع الذى لا يمكن أن يرد أن هذا المستشرق كذاب

---

(٩٥) أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/١٤/الصفحة الأدبية .

كذاب كذاب ، لأن فرق عشرة اشهر لا يقال عنه انه «نفس الوقت»،فكيف بمن يقول ان مرجليوث قد ذكر ان كتاب طه حسين قد صدر قبل مقالته ؟ (حتى لاينسى القارىء اكرر ان مقالة مرجليوث ظهرت فى أول يولية ١٩٢٥ على حين ظهر كتاب طه حسين فى ابريل (على الأقل) ١٩٢٦) . فهذه واحـــدة . اما الثانية فهى قول عبد الرشد الصادق « انه يستدل من رسالة طه حسين الى زوجته أن نبأ دراسة مرجليوث قد جـــاءه وقد بلغ فى محاضراته مرحلة متقدمة،واجتمع له من النتائج ما يمكن ان تقارن بنتائج«كبار المستشرقين»(٩٦). وارجو من القارىء ان يرجع الى الرسالة ، وقد اوردناها قبل قليل ، ليرى بنفسه ايمكن الاستدلال على هذا منها ام لا . أن الرسالة لا تقول شيئا من هذا الا لمن يلويها عن طريقها الى الطريق الذى يقسرها على السير فيه .

ان عبارة الرسالة هى : « فأبحاثى الشخصية تصل بى الى نتائج كبار المستشرقين نفسها » ، فهل فى هذه العبارة ما « يستدل منه ان نبأ دراسة مرجليوث قد جاءه **وقد بلغ فى محاضراته مرحلة متقدمة** » ؟ بالطبع كلا ثم كلا. وحتى لو افترضنا ان ما فهمه الباحث صحيح ، أيدرى ماذا يترتب على ذلك ؟ انه يترتب عليه أن طه حسين حين قال انه لم يقرأ دراسة مرجليوث الا بعدها بعام لم يكن أمينا ، لأنه كان ينبغى عليه ان يضيف أنه مع ذلك قد عرف بنبئها وبما تحتويه أثناء محاضراته وقبل أن يكتب كتابه (أو على الأقل ، قبل أن يصدره) ، وهذا يدفعنا الى مزيد من الشك فى أقواله . أما فهمى انا فهو انه هنا يشير الى مقالة مرجليوث ، التى قد بينت قبلا أن من الصعب جدا الا تكون قد وصلته ، بعد أن وصلت الى أحمد تيمور باشا ويعقوب صروف ، اللذين لم يشأ أى منهما أن يحتجن معرفة ما فيها لنفسه ، فأعطاها الأول للطالب محمود شاكر ليقرأها ، وأطلع الثانى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله على محتواها . ومن المؤكد انهما لم يكتفيا باخبار شاكر والرافعى بل

---

(٩٦) أهرام الجمعة الجمعة ١٩٨٦/١١/٧/الصفحة الأدبية .

فعلا ذلك مع كثيرين غيرهما ، وهذان فعلا الشيء ذاته مع آخرين ، وهكذا . وكيف يمكن الا تكون قد وصلت طه حسين مقالة مرجليوث وقد كان معروفا من قبل انه سيدرس الأدب العربى (والجاهلى بالذات) فى العام التالى ؟ فهل يعقل أن المستشرقين الذين كانوا على صلة وثيقة به والذين يستحيل الا تكون المجلة قد وصلت اليهم (على ما بينا سابقا) لم يخبروه بها وبمحتواها ؟ اذن ففيم كانوا يتحدثون فى الكلية وفى بيته ان لم يكونوا يتحدثون فى هذه المسائل ؟

وبالمناسبة فقد كان مرجليوث هو رئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية(٩٧) . أقول هذا فقد يلقى الضوء على عبارة « كبار المستشرقين »، التى استعملها طه حسين فى خطابه الذى ذكرت زوجته أنه ارسله اليها . وطه حسين ، ان صح انه كاتب هذه الرسالة ، يقصد بعبارته تلك أنه قد وجد نفسه قد انتهى الى النتائج التى اطلع عليها من قبل لمرجليوث ، بمعنى انه بعد أن قرئت عليه المقالة لم يشأ أن يستعين بها فى بحثه ، وفضل أن يبدأ من البداية ، فاذا عقله يقوده الى نتائج مرجليوث (مع بعض الاختلافات غير الأساسية ، كما مر قوله) . هذه هى القراءة الصحيحة لهذه العبارة . وعلى أى حال لا يمكن أن تشير الى رينان ، الذى يفترض عبد الرشيد الصادق أنه هو منبع فكرة طه حسين عن الشعر الجاهلى . لماذا ؟ لأن طه حسين لو كان يقصد رينان بذلك لقال هذا لمفتاح طاهر ، الذى سأله عن الشخص الذى تأثر به فى شكه فى الشعر الجاهلى ، فقال انهما الأخوان كروازيه مؤرخا الأدب اليونانى ، فان مثل هذه المسائل لا تنسى ابدا(٩٨) . على أن ثمة سببا آخر يجعلنى استبعد أن يكون طه حسين قد قصد رينان بقوله

---

(٩٧) انظر نجيب العقيقى/المستشرقون/جـ٢/ص ٧٧ ، ود. محمد مصطفى هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى . مرجليوث وطه حسين وعبد الرحمن بدوى/أهرام الجمعة/٣/١/١٩٨٦ .

(٩٨) انظر عبد الرشيد الصادق/العميد ومرجليوث وفصل الخطاب/أهرام الجمعة ٧/١١/١٩٨٦ .

« كبار المستشرقين » . هذا السبب هو ان رينان لم ينته الى هذه النتائج ، بل بالعكس كان هـذا المستشرق يؤمن بصحة الشـعر الجـاهلى ايمانا شديدا(٩٩) . وسوف نناقش هذه النقطة بشىء من التفصيل فيما بعد . وهكذا يرى القارىء ان كل الطرق مسدودة امام مثل هذه المحاولات . كذلك فان طه حسين ، فيما اعلم ، لم يذكر رينان فى كتاباته حتى ذلك التاريخ ، بل لم يرد لهذا المستشرق ذكر فى الجزء الثالث من « الأيام » حيث ذكر طه حسين اسماء مؤلفين كثيرين من الذين قرأهم مع خطيبته (وزوجته فيما بعـد) ، ولا حتى فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وهو ما يوحى (على الأقل) بأن رينان ليست له فى فكر طه حسين تلك الأهمية التى يخلعها عليه عبد الرشيد الصادق . واحب ان اقف قليلا عند قول الباحث هنا : « فاذا اراد خصوم طه حسين أن يواصلوا الجدل بعد هـذه النقطة (يقصد استدلاله الذى ناقشناه آنفا) فعليهم ان يكذبوا طه حسين ، وأن يفترضوا انه قد قرأ دراسة مرجليوث مترجمة او ملخصة بالعربية فى الوقت المناسب للتأثر بها (أى فى الفترة الواقعـة بين وصـول المقـالة الى مصر وبدايات العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) . فاذا اتبعـوا هـذا الطريق واجهنـاهم بما يهـدم كل دعاواهم »(١٠٠) . وانى فى الحقيقة لا ادرى اهذا تهديد أم احراج أم ماذا ؟ ان كان يقصد بذلك انه سيذكر رد الدكتور طه حسين على مفتاح طاهر الذى ذكرناه آنفا فقد قلنا رأينا فيه . اما ان كان يريد ان يقول انه يحتفظ بورقة فى يده سيلعبها عند اللزوم حينما يندفع خصوم طه حسين (والحمد لله ، الذى لم يجعلنى سبحانه واحدا منهم) بعناد وتهور معلنين انهم يكذبون طه حسين ، فان هذا ليس من المنهج العلمى فى شىء ، لأننا فى العلم لا ندبر المؤامرات

---

(٩٩) انظر عبد الرشيد الصادق/العميد ومرجليوث والنقد الحديث/ أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ .

(١٠٠) العميد ومرجليوث وطه حسين/الصفحة الأدبية باهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

لبعضنا البعض ، بل نتعاون معا فى سبيل نشدان الحقيقة . وانا عن نفسى اعلن للمرة الثالثة على الأقل فى هذا البحث (وهو ما افعله دائما فى كل بحوثى) اننى بشر أصيب واخطىء ، وأن من الممكن ان تكون اشياء قد غابت عنى ، ومن الممكن اذا ظهرت أن تغير بعض آرائى او كلها . وبرغم هذا فانى أعلن كذلك (للمرة الثالثة أيضا ؟ لا اذكر) أن تصريحات طه حسين ليست لها عصمة ولا قداسة . وانما هى كلام قابل للدرس والفحص ،ويجوز عليه الصدق والكذب . ولا اظن أن هذا يغضب اى عاقل منصف ، وهو نفسه قد شك ، فى كتابه الذى يدور عليه بحثنا ، شكا عاصفا فى الشعر الجاهلى بل اعلن انه لا يبالى بأقدس مقدساتنا نحن المسلمين ، ومع ذلك فقد قلت بصراحة لا مواربة فيها ان هذا حقه (بغض النظر عن دوافعه) . بأختصار اذا كان عند هذا الباحث شىء لم يذكره ويخبئه ليحرج به من سماهم خصوم طه حسين فقد كان ينبغى عليه الا يفعل ذلك . ولا تزال امامه الفرصة ليعرض علينا ، نحن الباحثين عن الحقيقة (لا نحن خصوم طه حسين ، فلست خصمه وانما انا خصم الباطل) . والى أن يفعل (ان لم يكن قد فعل،باشارته الى رد طه حسين على مفتاح طاهر) أرانى لا أجد أمامى الا ان اتمسك بكل آرائى ومواقفى تجاه ما قاله هو أو قاله الدكتور طه حسين .

ولكى اعطى القارىء فكرة عن حقيقة تصريحات طه حسين ومدى اهليتها للثقة اذكر له انه قال فى رسالته لزوجته (ان كان قد كتبها فعلا اليها) : « اننى قررت الا اقرا ابحاثهم (اى ابحاث المستشرقين) الا بعد أن انجز ابحاثى لكى اكون على علم بها فقط »(١) . وبغض النظر عن انى لا افهم ان يحرص طه حسين على اخبار زوجته فى خطابه بقرار كهذا كأنه من الأسرار الملحة التى لا يستطيع ان يؤجلها حتى تعود من

(١) العميد ومرجليوث وطه حسين / الصفحة الأدبية باهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

أبى قير ، ورغم أن مثل هذا القرار يجافى منهج البحث ، الذى يستلزم أن يلم الباحث بكل ما يمكن أن يضع يده عليه من دراسات سابقة ، لأن المسألة مسألة تعاون لا مسألة كبرياء شخصية ، فانى ألفت نظر القارىء الى أن طه حسين فى أول كتاب كتبه بعد هذه الرسالة (وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » قد الغى ، فيما يبدو هذا القرار الخطير (أم نسيه ؟ أم سها عنه ؟) رغم أنه لم يكن قد مر على اتخاذه وقت يذكر ، اذ انه فى فصل « الدين وانتحال الشعر » من هذا الكتاب قد لخص بحث كليمان هوار فى المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤) الذى تحدث فيه عن امية بن الصلت واستمداد القرآن من شعره (٢) . كذلك ففى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، التى سميت « فى الأدب الجاهلى » نراه يستشهد ببحث للمستشرق اغناطيوس جويدى بالعربية واللاتينية عن اللغة العربية الجنوبية القديمة (٣) . فما القول فى هذا ؟ أترى عدم التزامه بهذا القرار الخطير امرا عارضا ؟ اذن فاعلم (وهذا مجرد مثال) انه فى سنة ١٩٣٧ حين وضع كتابه « مع المتنبى » لم يبال أيضا بهذا القرار ، فقد رجع الى كتابى بلاشير وما سينيون عن المتنبى وكتاب هذا الأخير عن الحلاج(٤) ، بالاضافة الى انه أخذ نظرية بلاشير فى قرمطية المتنبى وبنى عليها كتابه . هذا من ناحية القرار . على أن فى كتاب « مع المتنبى » دليلا آخر على ما كررته فى بحثى هذا من أن كلامه عندى ليس أهلا لكبير ثقة . كيف ؟

---

(٢) انظر الشعر الجاهلى / ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٣) انظر فى الأدب الجاهلى / ص ٨١ ، فى الهامش .

(٤) انظر هوامش صفحات ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ / جـ ١ من هذا الكتاب .

اسمع اولا ما يقوله د . طه عمـــا طلبه من كاتبه وهو يتأهب للســـفر مع اسرته الى فرنســـا ، كعادته كل صيف تقريبا :

« طلبت الى صاحبى حين كان يجمع ما ينبغى أن يحمله من الكتب الا ينسى ديوان المتنبى . ولم أطلب اليه أن يحمل ديوانا آخـــر من دواوين الشـــعر القديم أو الحديث ، وانمـــا طلبت ديوان المتنبى وحـــده ، وأراد صاحبى أن يحمـــل ما فى مكتبى من الشروح التى كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها هذا الديوان ، فأبيت عليه هذا كله ، وتقدمت اليـــه فى أن يكتفى بأيسر طبعـــة من طبعـــات المتنبى ، لأنى لا اريد درسا ولا بحثا وانما اريد صحبة ومرافقة ليس غير » (٥) .

ان هذا ليس موضع ابداء الراى فى دراسة طه حسين هذه عن المتنبى ، نقد تكفل بذلك كتـــابى عن حياة الشـــاعر وشخصيته ، ولكن الذى أريد أن أقوله هو ان كتـــاب طه حسين ، برغم ما قاله عن انـــه لم يأخـــذ معه الا ايسر طبعة من ديوان المتنبى لأنه لا يريد بحثـــا ولا درسا ، يمتلىء بالمراجع القديمة والحديثة عن المتنبى وشعره . وليرجع من شـــاء الى الكتـــاب ، وسوف ينفغرفاه دهشا . وثمة سبب آخـــر ينفى عبد الرشيد الصـــادق بنـــاء عليه ان يكون طه حسين قد اخذ فكرة كتابه من مرجليوث . وهـــذا السبب هو انه يحصر الاتفـــاق بين الدكتور طه حسين والمستشرق الانجليزى ، فى « الدليل اللغـــوى ودليـــل المحتوى الدينى » ويؤكد أن هذين الدليلين ليســـا من ابتداع مرجليوث ولكنهمـــا من قبيل الأفكـــار الشائعة فى كتابات المستشرقين الذين تناولوا الشـــعر الجـــاهلى فى القرن التـــاسع عشر واوئل القرن العشرين . وذلك بالاضافة الى قوله انه ليس صحيحا ان هناك تطابقا تاما بين مرجليوث وطه حسين فى هـــاتين النقطتـــين وأن ترتيب طـــه حسين لأفكـــاره يختلف عن ترتيب

---

(٥) مع المتنبى ج ١ / ص ٤ .

مرجيوث (٦) . وللرد على ذلك نقول ان نقط الاتفاق بين طه حسين ومرجليوث لا تقتصر أبدا على هذين الدليلين . وقد بينا بالتفصيل قبل صفحات أن الأمر أوسع وأعمق من ذلك بما لا نرى معه حاجة الى اعادة القول فيه هنا ، اللهم الا ان نشير ثانية الى أن أساسيات فكرة طه حسين وفكرة مرجليوث متشابهتان ، وأن ماأضافه طه حسين بعد ذلك لم يكن ليوجد لولا هذه الفكرة الأساسية . ثم هل ترانى بحاجة الى ان أسوق رأى مرجليوث ، الذى نص نصا واضحا لا يقبل جدالا أو تأويلا أن « فكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التى أدرت حولها بحثى عن أصول الشعر الجاهلى » ؟ اننى أتفق مع عبد الرشيد الصادق على أنه ليس هناك تطابق تام بين مقالة مرجليوث ومقالة طه حسين . ولكن هذا لا يعنى أن طه حسين لم يأخذ فكرة الرجل ويصوغها بأسلوبه ويضيف اليها بعض النقط الفرعية . أما مسألة الاختلاف فى ترتيب نقاط البحث عند مرجليوث وطه حسين فهذه مسألة شكلية لا تقدم ولا تؤخر كثيرا .

وحتى لو سلمنا بأن المسألة محصورة فى « الدليل اللغوى ودليل المحتوى الدينى » فليس يعنى كون هاتين الفكرتين تراثا مشتركا فى كتابات المستشرقين السابقين على مرجليوث أن طه حسين لم يتأثر بهذا المستشرق وتأثر بمن قبله (وبالذات رينان ، كما يريدنا الباحث أن نصدق) . لماذا ؟ أولا ، لأن اشارة طه حسين فى رسالته (ان سلمنا بها) لا يمكن أن تعنى رينان ، كما شرحنا من قبل . وثانيا ، لأنه لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يكتب طه حسين بحثه الا فى أعقاب دراسة مرجليوث مع أن

---

(٦) انظر مقالتى عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الأدبية فى أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/٧ .

بحـوث رينان ونولدكه وغيرهما قد سبقت مقالة مرجليوث بوقت جـد طويل ؟ قد يجـاب بأنه لم يتول تدريس الأدب الجـاهلى الا ذلك العام . ولكن أيمكن أن نظن ان طه حسين ، لو ان هذه الفكـرة كانت فى ذهنه قبل مرجليوث ، كان سيصبر على كتمانها وهو الكاتب الغزيـر الانتاج الذى لا يطيق ان يكتم رايا رآه حتى لو تراجع عنه بعـد ذلك ؟ ثم لماذا كتب طه حسين فى الشـعر الأموى والشعر العبـاسى قبل ذلك ولم يكتب فى الشعر الجـاهلى لو كانت عنده هذه النظـرية الخطيرة ؟ ولا يتولن معترض انه لم يكن قد كونهـا بعـد ، والا فالسؤال هو : وكيف استطاع ان يكونهـا هكذا سريعـا لو كانت من بنـات أفكاره ؟ (٧) ان طه حسين ، على كثرة ما كتب قبل سفره الى فرنسـا وبعد عودته من بعثته الى ان الف كتابه هذا لم يتعرض ، فيما نعلم ، لصحة الشعر الجـاهلى فى شىء ، مع انه كانت هناك فرصة جد مغـرية أمامه لاثارة هذا الموضوع لو كان فى ذهنه اى شك فيهـا قبل ظهور مقالة مرجليوث . وهـذه الفرصة هى ظهور « تاريخ آداب العـرب » للـرافعى ، فقد قراه طه حسين ، وكان كل همه هو الزعم بأنه لم يفهم منهشيئا ، مع ان الرافعى قد عالج فى كتابه هذا تلك القضية باحاطة وتفصيل . وقد كان امام طه حسين الفرصـة من سنة ١٩١١ (تاريخ ظهور كتاب الرافعى) الى ١٩٢٥ ليقول ما عنـده فى الشعر الجـاهلى لو كان عنده شىء . والعجيب ذو المغـزى أن طه حسين ، الذى لم يفهم هـذا الكتاب (وهو يقصد بذلك طبعا التقليـل

---

(٧) انظر خاتمة كتاب طه حسين / مع المتنبى / ج ٢ وبالذات ص ٧٠٥ — ٧٠٦ حيث يبسط القول بعض الشىء فى ظروفه (فى مصر) التى تمنعه من التعمق فى البحث والدرس وتجعله يكتفى من ذلك بالهين اليسير ، لتدرك معنى قولى اكثر من مرة فى بحثى هـذا انـه قد كتب كتابه « فى الشعر الجـاهلى » على عجل ، وبخاصة انه كان بين يديه أو فى ذاكرته فكرة مرجليوث ، التى اخذهـا وأضاف اليها بعض الفرعيـات وانتحلها .

من شأنه وشأن مؤلفه) يعود بعد ظهور مقالة مرجليوث فيثنى عليه وعلى صاحبه . وتفسير ذلك عندى هو انه اراد ان يتخذ الرافعى ردءا من ناحيتين : فمن ناحية اراد أن يقول لمن يعرف أنهم سيهبون لتفنيد رايه المتسم بالتهافت والغلو المجاوز لكل منطق : اننى لست وحدى الذى شك فى هذا الشعر فى عصرنا هذا ، بل هذا هو الرافعى المتحمس للقديم قد فعل ذلك قبلى . ومن ناحية ثانية ظن انه بالثناء على الرافعى سوف يخدره فلا يتناوله بالنقد والتسفيه . ولكن هذه الحيلة ، كما نعرف ، لم تجز على الرافعى ولا على غيره .

فاذا تذكرنا ما اشرنا اليه قبل ذلك من أن رينان لم يشك فى صحة الشعر الجاهلى بل كان على العكس يؤمن بها ايمانا شديدا وان طه حسين لم يشر قط الى رينان تاكد لدينا أن محاولة الربط بينهما هى محاولة مقضى عليها بالفشل (٨) . أما قول عبد الرشيد الصادق أن دليلى اللغة والمحتوى الدينى قد نبه اليهما رينان (وان لم يرتب عليهما نفى الشعر الجاهلى) واخذهما عنه نولدكه ومرجليوث فهو يدل عندنا على تاثر طه حسين بهذا الأخير ، على اعتبار انه آخر من كتب فى هذا الموضوع ، فان للجديد دويه الذى يلفت اليه الأسماع والابصار ويتسلط به على العقول وبخاصة ان مرجليوث هو اكبر من اثار هذه القضية فى كتاباته (٩) . علاوة على أن تشابه فكرة طه حسين مع فكرة مرجليوث أوضح وابرز واشمل ، لانه لا يقتصر على الدليلين المذكورين . ومن جهة أخرى فان مرجليوث وطه حسين قد انتهيا الى الشك فى الشعر

---

(٨) — انظر فى ذلك مقالتى عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الادبية فى اهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .

(٩) انظر د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ١٦٦ .

الجاهلى (على عكس رينان) ، وان عمم الأول شكه واستثنى الثانى من الشك بعض هذا الشعر (على غموض وضعف فى الأساس الذى بنى عليه الاستثناء ، كما سبق القول) .

كذلك فقد يدل على أن ثمة علاقة كانت بين طه حسين ومرجليوث قبل مقاله هذا الأخير ، بما يعنى أن طه حسين كان يتابع ما يكتب هذا المستشرق، ان الدكتور طه حسين لما ذهب الى أكسفورد بعد ظهور كتابه بعامين نزل هو وأسرته ضيوفا على مرجليوث وزوجته ، التى أعتنت بطفله المريض آنذاك عناية كبيرة(١٠) ولو لم تكن بينهما علاقة قبل ذلك (وليس شرطا أن تكون علاقة مقابلات وزيارات بل قد تكون علاقة فكر وتبادل آراء) لنزل طه حسين وأسرته فى نزل بتلك المدينة او بمسكن من مساكن الجامعة هناك مثلا ، فان التحفظ الانجليزى معروف وبخاصة تجاه الغرباء .

هل ترانا بعدنا عن الرافعى ونسيناه ؟ لا اخال ، بل منه ننطلق واليه نعود ، وكيلا ننسى أذكر القارىء بأن الرافعى هو ، على قدر علمنا ، أول من اتهم طه حسين (كتابة) بالسرقة من مرجليوث . صحيح انه عاد فقال : ان أحدهم قد نبهه الى أن طه حسين قد أخذ فكرته من بعض مستشرقى الألمان الذين أصدوروا فى باريس كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » ، الا أن هذا لم يكن رجوعا منه عن ربط طه حسين بمرجليوث ، فان فى كلامه عبارة توحى بأنه يتصد أن الفكرة كانت موجودة عند المستشرقين قبل مرجليوث . وهذا نص عبارته التى تعطى هذا المعنى : « ولكن أحد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا (يقصد

---

(١٠) معك / ص ٩١ .

مرجليوث) قد كان ابو دلامة (يقصـــد المستشرقين الالمـــان المتّـــان اليهم) » (١١) . ولكيلا ننسى ايضا اذكر القارىء بأن اتهـــام الرافعى لطه حسين لم يقتصر على الاخذ من مرجليوث ، بل شمل كليمان هـــوار وغيره . وقد بينا فى الصفحات الســـابقة الى اى حـــد يصدق هذا الاتهام بما يدل على أن ما قاله الرافعى لم يكن كلامـــا فى الهـــواء القـــاه على عواهنه .

---

(١١) تحت راية القرآن / ص ٢١٣ .

هل ما قاله طه حسين هو نفس ما قاله ابن سلام ؟

غير أن بعض من عالجوا من العرب هذه القضية فى الآونة الأخيرة ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ادعى أن « النتائج التى انتهى اليها ابن سلام الجمحى والأسباب التى ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزيادة فى الشعر الجاهلى ... هى هى عينها النتائج والأسباب التى أوردها الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » أو كتابه المعدل هذا . ثم عقب هذا البعض على ذلك متسائلا : فعلام اذن كل هذه الضجة الزائفة التى أثيرت حول هذا الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاؤا من النعوت، فاتهموه بالمروق والتهجم على التراث العربى العريق ، والرغبة فى تحطيم أمجاد العرب ، والانسياق وراء « مؤامرات » المستشرقين (ولهذه الكلمة فى ذهن كل أو جل المشتغلين بالأدب العربى معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاويل) . فهل كان ابن سلام الجمحى (١٤٥ — ٢٣١ هـ) مستشرقا هو الآخر متآمرا على التراث ؟ » (١٢) .

والواقع أن هذه الكلمات على قلتها محشوة بالمغالطات الشنيعة ، فهل حقيقة أن لكلمة « المستشرقين » فى أذهان كل « المشتغلين » بالأدب العربى (وأن تراجع الكاتب فقال « أو جلهم ») معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاويل ؟ ان كثيرا من المشتغلين بآدابنا للأسف يرددون آراء المستشرقين كالببغاوات . والدكتور بدوى بحكم اتصاله ببيئات المستشرقين واعجابه الشديد بهم يعرف هذا جيدا ، فكان عليه الا يستخدم

---

(١٢) انظر د. هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى / أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ / الصفحة الأدبية .

« كل » ، وهو الدارس للفلسفة والمنطق ، اللذين من شأنهما ان يعودا المتخصص فيهما ، حتى لو لم يكن فيلسوفا ولا منطقيا ، ان يكون دقيقا فى عباراته . كذلك فان آراء طه حسين ، التى كما رأينا قد نقلها عن عدد من المستشرقين لا يمكن أن تكون ابدا هى نفسها آراء ابن سلام . وليس العرب هم وحدهم الذين يرفضون آراء امثال مرجليوث وطه حسين ومن لف لفهما ، بل الحقيقة انهم ليسوا أول من فعل ذلك . وقد كان أحرى به وهو الذى جمع ما قاله المستشرقون فى قضية الشعر الجاهلى أن يعرف هذا قبل غيره . هل كان رينان يشك فى الشعر الجاهلى ؟ لقد تكفل عبد الرشيد الصادق ، كما رأينا فيما سبق ، وما ساقه من كلام رينان الاجابة على هذا السؤال بالنفى (١٣) . ولايال ، الم يرد على مرجليوث ويفند آراءه ؟ (١٤) ومثله أيضا برونيلش (١٥) . ثم ما رأى الدكتور بدوى فيما قاله جورجيو ليفى دلافيدا فى هذا الموضوع ؟ الم ير هو ايضا انه قد بولغ فى مسألة وضع الشعر الجاهلى ونحله ... (وان) مجموع الرواية الشعرية فى جملتها صحيحة أصيلة ؟ (١٦) وكذلك ما رأيه فى نقض آربرى ، المستشرق الانجيزى لنظرية مواطنه مرجليوث فى أصول الشعر العربى ؟ (١٧)

---

(١٣) انظر عبد الرحمن الصادق / مقالتاه عن طه حسين ومرجليوث فى أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .

(١٤) انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٦٧ — ٣٧٤ .

(١٥) — انظر مثلا د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ١٦٦ ، ود. هدارة فى مقالته بالصفحة الأدبية بأهرام الجمعه ١٩٨٦/١/٣ .

(١٦) — انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٧٤ — ٣٧٦ وانظر كذلك ما كتبه دلافيدا نفسه عن هذا الموضوع فى مقالته عن طه حسين / ص ١٦٩ — ١٧٠ من كتاب « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(١٧) — انظر مقالة د. هدارة فى الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .

وهذا هو الموقف الذى انتهى اليه المستشرقون بوجه عام ، كما يقول هذا المستشرق نفسه(١٨) . أم ترى هؤلاء هم أيضا من المشتغلين بالأدب العربى الذين لكلمة « المستشرقين » فى اذهانهم معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاويل ؟ ثم هل يمكن ان نصدق أن طه حسين وحده من دون من سبقوه من لدن ابن سلام الى وقت ظهور كتابه « فى الشعر الجاهلى » هو الذى فهم ما قاله الناقد العربى القديم ، بعد أن أخطأ السابقون فهمه طوال هذه القرون المتطاولة ؟ بل كيف أثنى طه حسين نفسه على مصطفى صادق الرافعى وما قاله عن الوضع فى الشعر الجاهلى (فى كتابه « تاريخ آداب العرب ») ، على ما مر بنا ، والرافعى ، اذا سلمنا بما قاله الدكتور بدوى عن تطابق ابن سلام وطه حسين ،قد أخطأ فى فهم ابن سلام؟وهل هاجم ابن سلام القرآن وشكك فى مصدره السماوى كما فعل طه حسين ؟ (للمرة الثالثة أقول : انى لا أصادر حرية طه حسين ولا غير طه حسين فى الجهر بما يريد ، ولكن هذه هى حقيقة آراء طه حسين ، وان حاول بعض أن يموهوا ذلك) ان خير رد على دعوى د. بدوى أن طه حسين لم يفعل اكثر من انه انتهى الى نفس النتائج والأسباب التى انتهى اليها من قبله ابن سلام هو ايراد ما قاله هذا الناقد العربى القديم والمقابلة بينه وبين آراء د. طه حسين ، وذلك بدلا من تضييع الوقت فى الجدال النظرى الذى من الواضح ان بعض الدارسين بارعون فيه الى درجة مذهلة .

ان سامح كريم الصحفى بالأهرام يورد بعض ما قاله ابن سلام وكأنه وقع على كنز ثمين ، متصورا أن هذه النصوص المبتسرة تخدم شبهته التى أخذها عن د. بدوى ، وهى أن طه حسين لم يقل شيئا أكثر مما قاله ابن سلام . وهذا ما أورده من أقوال ابن سلام : « وفى الشعر

---

(١٨) — طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٧٠ .

مصنوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه ... وقد تداوله قوم من كتاب لم ياخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء » و « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعراءهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فارادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا فى الأشعار التى قيلت . وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضع المولدون . وانما عضل بينهم (كذا . وقد وجدتها فى ط ١٩٥٢ هكذا : « وانما عضل ذلك بهم ») أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال » و « أشعرهم (أى أشعر شعراء المدينة) حسان بن ثابت ، وهو كثير الشعر جيده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على آخر » . ثم يعقب قائلا : « أليست هذه الأقوال لابن سلام تجعل طه حسين يتأثر به فى نظرته للشعر الجاهلى ؟ »(١٩) والجواب : أن ابن سلام كان موجودا بين يدى طه حسين قبل سفره الى فرنسا وبعد عودته منها سنين طوالا ، فلماذا لم يتأثر به الا بعد ظهور مقالة مرجليوث ؟ بل لقد عرض الرافعى هذه القضية عرضا معتدلا كما صورها القدماء مع الاحاطة بها تفصيلا ووضعها فى اطارها العام ، وكان ذلك قبل ظهور بحث مرجليوث بأربعة عشر عاما ، فكيف لم تلفت انتباه طه حسين ، وظل غافلا عن هذه القضية الى أن صدرت مقالة مرجليوث ، وعندئذ .. وعندئذ فقط أصيب بالاهتمام المفاجىء بها ، بل عندئذ .. وعندئذ فقط أصبح ما كتبه الرافعى يستحق الثناء بعد أن كان صرح بانه لا يفهمه . فهذه واحدة . اما الثانية ، فهل

---

(١٩) انظر مقالة سامح كريم فى الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ .

يظن سامح كريم ود. عبد الرحمن بدوى أن مثل هذه الأقوال لابن سلام كانت غائبة عن كل من درسوا الشعر الجاهلى الا طه حسين ، او انهم على الأقل لم يفهموها حق فهمها حتى جاء طه حسين وفهمها كما ينبغى ؟ اتراهما يريان فيها غموضا عويصا لا يستطيع سوى طه حسين ان يقشع غمامه وسحبه ؟ الا فليعلما انه لا أحد يشاح فى كلام ابن سلام وغيره من العلماء الثقات الأثبات فى الشعر الجاهلى . وانما المشكلة فى ان طه حسين ، بدلا من ان ينظر فى امر الشعر الجاهلى نظرة الفاحص المحص فينفى منه ما يستحق النفى ويقبل منه ما هو جدير بالاطمئنان والقبول ، شأن ابن سلام وغيره من علمائنا ونقادنا القدامى ، آثر ان يردد مقالة مرجليوث فى الشك العنيف فى الشعر الجاهلى ، وان سمح باستثناء القليل استثناءا غامضا ، على عكس المستشرق الانجيزى ، الذى الغى الشعر الجاهلى جملة وأراح نفسه .

ان سامح كريم يخبرنا انه حين اورد ما اورد انما كان ذلك بناء على اختيار عشوائى . وغريب امر ذلك الاختيار العشوائى الذى لا يأتى ابدا من أقوال ابن سلام بما يبين تبيينا ساطعا ان طه حسين قد خالف ابن سلام مخالفة شديدة وآثر عليه مرجليوث . لقد كان يمكننى ان أقول ان ما ساورده الآن لابن سلام انما هو نتيجة اختيار عشوائى ، بيد انى صريح احب أن اسمى الأشياء بمسمياتها ، ولهذا أعلن بملء فمى انى قرأت مقدمة ابن سلام كلها فوجدت فيها الآتى : « وقد اختلف **العلماء فى بعض** الشعر كما اختلف فى بعض الأشياء . **اما ما اتفقوا عليه فليس لاحد ان يخرج منه** » و « **فى الشعر المسموع مفتعل موضوع لا خير فيه ... وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول** وما مدح هو واهل بيته به ، فصار

---

(٢٠) محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء / ص ٦ .

ذلك الى بنى مروان أو صار منه » (٢١) و « أول من تكلم بالعربية ولسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما » . (٢٢) والآن نتساءل : أين هذا مما الح عليه طه حسين من الشك فى الأغلبية الساحقة من الشعر الجاهلى ؟ وأين هذا من نفى طه حسين أن يكون شيء من ذلك الشعر قد ظل مكتوبا ؟ (٢٣) وأين هذا من عد طه حسين هجرة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام الى مكة وابوة هذا للعرب اسطورة من الأساطير شاعت فى العصر الجاهلى ثم جاء الاسلام فاستغلها لأسباب سياسية ؟ وهل جعل ابن سلام المسلمين كلهم كذابين وضاعين كما جعلهم طه حسين ؟ وهل شك ابن سلام فى وجود امرىء القيس مثلا ؟ وماذا نفعل فى قول ابن سلام انه ليس لأحد ان يخرج مما اتفق العلماء على صحته من الشعر الجاهلى ؟ أهذا أيضا مما اتفق فيه ابن سلام وطه حسين ، الذى لم يعبأ بمقاييس أولئك العلماء ونتائجهم ؟ ان الاجابة عن هذه الأسئلة تدل على أن طه حسين قد تأثر بمرجليوث وردد كلامه ابن سلام . ثم كيف نسى سامح كريم ومن أخذ عنهم أن مرجليوث نفسه قد قال عن بحثه وبحث طه حسين انهما متماثلان الى حد كبير ، مع أن بحثه يدور حول رفض كل ما قاله القدماء عن صحة الشعر الجاهلى ، ولم يقل ان فكرة طه حسين تشبه فكرة ابن سلام ؟ استبان لنا اذن من المقابلة بين ابن سلام

---

(٢١) السابق / ص ٦ ، ٢٣ .

(٢٢) السابق / ص ٩ .

(٢٣) للحقيقة يبدو كلام ابن سلام هنا غير متسق تماما ، اذ ذكر قبيل ذلك ان العرب لم يؤولوا من الشعر الجاهلى الى ديوان مكتوب ، وان كان يمكن التوفيق بين هذا وذاك بالقول بأنه يقصد علماء العرب ورواتهم لا ملوكهم .

وطه حسين ان ما قاله د. عبد الرحمن بدوى وردده وراءه سامح كريم غير صحيح . (٢٤) كذلك فان اقتصار هذا الأخير على ايراد قول د. شوقى ضيف ان حديث طه حسين عن اسباب نحل الشعر يعتمد اساسا على القدماء العرب ومنهم ابن سلام هو عمل اقل ما يوصف به انه سيق للتضليل . وحتى اثبت للقارىء صدق الحكم اسوق اليه كلام الدكتور شوقى كله وبنصه . قال بعد ان لخص الأسباب التى دفعت طه حسين الى الشك فى الشعر الجاهلى ورد عليها وفندها سببا سببا (٢٥) : « ويخرج طه حسين فى مصنفه من هذا الكتاب الثانى الى الكتاب الثالث ، فيتحدث عن اسباب نحل الشعر ويبسطها بسطا معتمدا على ملاحظات القدماء»(٢٦) (وبعد أن يورد د. شوقى ضيف هذه الأسباب ويعلق عليها بما ينقض موقف طه حسين يقول :) ومعنى ذلك كله أنه فى هذا الكتاب انما يردد ما نص عليه العلماء السابقون من قضايا ، يريد أن يتسع لنقض الشعر الجاهلى جميعه ، وهى انما تنقض جوانب منه ، وينبغى أن نقف عندها والا نذهب مذهب التعميم » (٢٧) . ثم بعد أن ينقد موقف طه حسين من شعراء ربيعة

---

(٢٤) علق د. محمد مصطفى فى مقالته بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ على كلام د. عبد الرحمن بدوى هذا بقوله : « ولا اجد تجاوزا لكل الحقائق اشد واخطر من هذه الاقوال . فما ابعد كلام ابن سلام عن مرجليوث . وما أصدق قول الأستاذ محمود محمد شاكر : « اما ابن سلام صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » فهو من قضية الشعر الجاهلى بمعزل . ابن سلام لا يشك فى شعر هو أحد حفاظه وعلمائه ، ثم يؤلف فى هذا الشعر وشعرائه كتابا براسه هو كتاب « طبقات فحول الشعراء » فلماذا نزيف الحقائق ؟ » وهذا الكلام ، كما ترى ، هو الحق الذى لا مرية فيه .

(٢٥) انظر / ١٧٠ — ١٧٣ من / العصر الجاهلى .

(٢٦) ص ١٧٣ .

(٢٧) ص ١٧٤ .

وشعراء مضر وتصريحه بمـــا معناه انه كان يستطيع ان يحقـــق نتائج سليمة لو استقصى ما قاله القدماء فى هـــذا الموضوع يقول : « والحق ان الشعر الجـــاهلى فيه موضوع كثير . غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة وصيغه وألفاظـــه من جهة ثانية ، او بعبارة اخـــرى عرضوه على نقد داخلى وخارجى دقيق . ومعنى ذلك انهم احاطوه بسياج محكم من التحـــرى والتثبت ، **فكان ينبغى الا يبالغ المحدثون من امثـــال مرجليوث وطه حسين** (ارجو أن يقرأ سامح كريم هذه العبارة الأخيرة جيدا ويتنبه لدلالة الربط بين مرجليوث وطه حسين فى هذا السياق) **فى الشك فيه مبالغة تنتهى الى رفضه** . انما نشك حقـــا فيما شك فيه القدماء ونرفضه . اما ما وثقوه ورواه اثبـــاتهم من مثل ابى عمرو بن العلاء والمفضـــل الضبى والاصـــمعى وابى زيد فحرى ان نتقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغى ان نخضعه للامتحـــان وان نرفض بعض ما رووه على اسس علمية منهجية **لا لمجـــرد الظن** (ارجو ايضا التنبه لهذه العبارة ومغزاها) كان يروى لشاعر شعر لا يتصـــل بظروفه التاريخية ، أو تجـــرى فيه اسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف اليه شعر اســـلامى النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمســـا » (٢٨) .

على انى رغم سطوع الحقيقة كالشمس فى رائعة النهـــار ، احب ان أعرف ماذا يقول د. طه حسين نفسه فى هذه النقطة . يقول : « واما انصار الجـــديد فـــ .. ـــهم لا يطمئنون الى ما قاله القدماء ، وانما يلقونه بالتحفظ والشك . ولعـــل أشد ما يملكهم الشـــك حين يجدون من القدماء ثقة واطمئنانا . هم يريدون أن يدرسوا مسالة الشعر الجاهلى فيتجاهلون

---

(٢٨) العصر الجـــاهلى / ص ١٧٥ .

اجمـــاع القدماء على ما اجمعوا عليه ، ويتساءلون : اهناك شعر جاهلى؟...
والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذى يذهبه المجددون عظيمة جليلة الخطـــر :
فهى الى الثورة الادبية اقرب منها الى كل شىء آخـــر . وحسبك انهم يشكون
فيما كان النـــاس يرونه يقينـــا ، وقد يجحدون ما اجمع النـــاس على أنه
لا شك فيه (يبدو لى أن المقصود بذلك هو الشعر الجـــاهلى وشعراؤه ،
ولكن تنبه لما هو آت) وليس حظ هذا المذهب منتهيا عند هذا الحد ، بل
هو يجاوزه الى حدود اخـــرى ابعد منه مدى واعظم اثرا ، فهم ينتهـــون
الى تغيير التاريخ أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ (أرجو أن تنتبه أكثر) .
وهم قد ينتهون الى الشـــك فى اشياء لم يكن يبـــاح الشك فيها (لا اظن
المعنى خافيا على القـــارىء ، فليس الا القرآن الكريم . وليس هـــذا
تخمينا ، فقد انكر الدكتور ، كما وضحنـــا بالنصوص القطعية ، أشياء فى
القرآن الكريم ، ونظر اليه بوصفه تأليفا بشريا . ولنتابع) . وهـــم بين
اثنتين : اما أن يجحدوا انفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيريحوا ويستريحوا ،
واما أن يعرفوا لأنفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه ، فيتعرضوا لما ينبغى أن
يتعرض له العلماء من الأذى (والأذى طبعا لا ينال من يقتصر شكه على امرىء
القيس وامثاله من شعراء الجاهلية وشعرهم ، وان لم يكن الأذى من رأينا :
ولكن هذا موضوع آخر) ، ويحتملوا ما ينبغى أن يحتمله العلمـــاء مـــن
سخط الســـاخطين » (٢٩) .

فهذا ما يقوله طه حسين نفســـه ، وهو يهدم دعاوى د. عبد الرحمن
بدوى وسامح كريم من ورائه . اذن فاتهام الرافعى لطه حســـين بأنه اخذ
آراء المستشرقين هى تهمة قوية ، وكل الملابســـات والأدلة تؤيدها وتؤكدها.

---

(٢٩) فى الشعر الجاهلى / ص ٥ — ٦ وتجده ايضـــا فى ص ٦٤ —
٦٥ ص / فى الأدب الجـــاهلى .

ومع ذلك فإن الرافعي ، رحمه الله ، في موضع آخر من كتابه « تحت راية القرآن » يتهم طه حسين بأنه بنى كتابه « في الشعر الجاهلي » على الباب المعنون بـ « الرواية والرواة » من كتابه هو « تاريخ آداب العرب » (٣٠). والواقع أن عرض الرافعي لهذه المسألة في كتابه المذكور هو عرض شامل ومفصل ومنظم ، ولكن دعواه هذه غير مسلمة ، الا اذا كان يقصد ان طه حسين قد أخذ كلامه (وهو بالمناسبة كلام القدماء ، مع الاحاطة والتفصيل والتنظيم كما قلنا) ، ومطه الى نهايته وشك في الشعر الجاهلي كله تقريبا بدلا من الاقتصار على ما اقتصر عليه من سبقه من العلماء والنقاد العرب قديما وحديثا .

---

(٣٠) انظر تحت راية القرآن / ص ١٣٦ .

نقد الرافعى لمنهج طه حسين فى دراسة الشعر الجاهلى ولآرائه فيه

والآن حان الوقت لنتناول نقد الرافعى لمنهج طه حسين فى دراسة الشعر الجاهلى وافكاره فى هذا الموضوع . واول ما ينبغى ان نعرض له هنا هو ما قاله الرافعى عن استخدام الدكتور طه لمنهج الشك عند ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير (٣٠) .

لقد قدم الرافعى تلخيصا لمذهب هذا الفيلسوف (٣٢) وهاك نص ما قاله عن هذا الفيلسوف : « فيلسوف فرنسى توفى سنة ١٦٥٠ م ، وله المذهب الفلسفى المنسوب اليه القائم على هذه الكلمة : « انا افكر فأنا اذن موجود » . وخلاصة مذهبه الا تقر حقا لست على بينة انه حق ، والا تقطع بالرأى حتى تكون على يقين من انك محصته ولم يفتك نص ولا شىء مما تستعين به وان تجزىء كل مشكلة تمتحنها الى الأجزاء التى لا يكون الحل بدونها حلا ، وأن تجزىء التفكير على نظام تدريجى من السهل الى ما فوقه » . ثم عقب عليه بقوله : « وقد ثبت ان طه لم يفهم هذا المذهب وأنه شموذ به على الطلبة وانه لا يعدل جهله فيما ينقل عن العربية الا ما

---

(٣١) انظر فى الشعر الجاهلى . فصل / منهج البحث / ص ١١ — ١٤ حيث يعلن د. طه انه سيستخدم فى بحثه هذا منهج ديكارت فى الشك .

(٣٢) فى تحت راية القرآن / هامش ص / ١٤٠ .

(٣٣) فى الشعر الجاهلى / ص ١١ . وفى قواعد المنهج الديكارتى انظر ديكارت / Discours de la Methode ص ٦٣ — ٦٤ (مع التعليقات التى كتبها شاربنتييه فى الهامش) ، وكذلك ترجمة محمود محمد الخضيرى لهذا البحث / ص ٣١ — ٣٢ (مع التعليقات المفيدة التى أضافها فى الهامش) . كذلك برتراند رسل / حكمة الغرب / ص ٧٠ ، ود. توفيق الطويل / اسس الفلسفة / ص ١٤٨ — ١٥٠ .

ينقله عن الفرنسية » . والواقع ان مقارنة سريعة بين تلخيص الرافعى لهذا المذهب وما قاله عنه طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » تبين لنا أوضح تبيين ان الرافعى لم يترك شيئا من القواعد التى ارساها الفيلسوف الفرنسى من اجل التوصل الى اليقين ، على حين لم يذكر طه حسين الا شيئا واحدا مما تقتضيه قاعدة واحدة فقط من هذه القواعد ، وهى القاعدة الأولى التى تقضى بأن « يتجرد الباحث من كل شىء كان يعلمه من قبل » . بل انه ساق ذلك على نحو موجز ، وكان الأحرى به أن يفصل القول فى هذه القاعدة تفصيلا لا يغادر جانبا من جوانبها حتى يعطى قارئه فرصة كاملة لتمحيص ما يقوله ونقده ، وترك الثلاث الباقية التى من المؤكد انه لم يعرها ادنى التفات وهو يدرس الشعر الجاهلى . ليس ذلك فقط ، بل ان طه حسين قد عجز عن تطبيق هذه القاعدة ، اذا لم نقل انه لم يفهم ابعادها ، أو على الأقل هذا ما يفهم من موقفه من الدين (كما عرضه فى كتابه « فى الشعر الجاهلى ») ، وهو ما سنتناوله بعد قليل . ولذلك جاء بحثه خديجا غير ناضج مما أعطى الرافعى وكل من ردوا عليه اقوى سلاح فى تسفيه منهجه وآرائه وهدمها . اى ان حكم الرافعى على استخدام طه حسين لهذا المنهج هو حكم صحيح ، وان جاءت عبارته شديدة (٢٤) .

---

(٣٤) انظر فى الخلاف بين طه حسين وبعض من انتقدوا فهمه لديكارت مقالة عبد الرشيد الصادق محمود / ابعاد جديدة لمعارك طه حسين الفكرية . لماذا زعم طه حسين أن لديه مخطوطات لم تنشر لديكارت ؟ / الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ / ص ٤٠ — ٤٩ . وانظر فى معرفة طه حسين بديكارت وفلسفته مقالة كامل زهيرى / المنهج الفكرى عند طه حسين / وبالذات ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٤٨ — ١٤٩ من كتاب « طه حسين كما يعرفه علماء عصره » . وانظر كذلك ص ١٢٨ من نفس الكتاب حيث يرى محمود أمين العالم أن طه حسين « لم يكن فى حاجة الى هذا المنهج

=

وفى موضع آخر يكرر الرافعى الزراية على طه حسين لعـدم فهمه منهج ديكارت وعجزه عن الاستفادة به(٣٥) . ويمضى فيشير الى ان ديكارت كان « يخشى على التكوين الاجتماعى من الشك ، لأن الشـك لاحد لـه ، اذ هو المجهول كلـه . فهو من اجل هذا يشـترط الا تمس اصـول الدين ولايجترا على ماانزله الناس فى منزلتها من اصول العادات »(٣٦) . ثم يعقب قائلا : وكل ذلك على ما فيه من القيـود لا يتفق على احسنه الا لمن كان عقله من الذكـاء والنفاذ كأنه قيد للمعانى والخواطر ، فهو اطلاق لا يراد منه الاطلاق الأحمق كما ظهر فى كتاب استاذ الجامعة ، بل تقييد الحقيقة التى لا سبيل اليها الا من البصيرة . وما البصيرة أن تعمى عن الحق بشىء من العـاطفة أو العصبية ، ولا بشىء من الجهـل او ضعف الذهن ، فان هذين كهذين . ومذهب ديكارت كله تجده على أسماه وابعده من الاعتراض وما يدخله من الشبهة فى قوله تعـالى : « هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة » (٣٧) .

=

الديكارتى ، فجوهر حركته الفكرية هو التحديد العقلى ، وليس الشـك الديكارتى الا وجها من أوجه هذا الجهد العقلى ولكنه ليس جوهره » . والواقع ان فى كلام العـالم مبالغة شديدة تعتمد على الخطابية والتعميم ، فضلا عما فيه من تناقض أسوق للتدليـل عليه قوله (ص / ١٢٩) : « اننا فى بعض كتاباته الأخرى قد نلمح فيهـا جنوحا الى التشكك فى قيمة العقل كأداة منفردة للمعـرفة » . وهو تناقض لا يبوء بذنبه هو وحـده بل طه حسين ايضا ، مما يدل على أن الرافعى لم يظلمه حين هاجم فهمه لفلسفة ديكارت وتطبيقه لمنهجه كما راينـا .

(٣٥) تحت راية القـرآن / ص ٢٣٢ .

(٣٦) المرجع السـابق / ص ٢٢٣ .

(٣٧) السـابق / ص ٢٢٣ .

والحقيقة أن كلام الرافعى عن استثناء ديكارت للدين واصول العادات من الشك صحيح (يقصد ديكارت بالدين دينه هو ، وبما يسميه الرافعى « اصول العادات » عادات بلاده) ، بيد أن ديكارت انما فعل ذلك بصفة مؤقتة حتى يصل الى بر اليقين الذى سيغنيه حينئذ عن ذلك (٣٨) .

ويبدو ان عثمان نوية لم ينتبه الى أن هذا القانون الذى استثنى به ديكارت دينه وعادات بلاده انما هو قانون مؤقت ، ولذلك راى انه يتناقض مع قوله : « اننى اتبع افكارى إينما قادتنى (٣٩) . ومع ذلك فان ديكارت ، فيما يفهم من كلام تيسير شيخ الأرض عن هذه المسألة ، لم يتوصل الى وضع اسس هذه الأخلاق المطلقة وعاد فتبنى هذه الأخلاق المؤقتة (٤٠) .

اذن فان كلام الرافعى ان لم يصدق فى هذه الجزئية على فكر ديكارت النظرى فانه مع ذلك صحيح بالنسبة الى ما استقر عليه الفيلسوف الفرنسى بعد ذلك . بيد انه ينبغى أن نعرف أن ديكارت قد اثبت وجود الله بالتأمل والبرهان العقليين . (٤٢) ولكن اثبات وجود الله ، كما هو مفهوم ، لا

---

(٣٨) انظر برتراند راسل / حكمة الغرب / جـ ٢ / ص ٧٠ — ٧١ .

(٣٩) انظر عثمان نوية / اعلام الفكر الأوربى / جـ ١ / ص ١١٣ .

(٤٠) انظر ترجمة تيسير شيخ الأرض لكتاب أندريه كريسون « ديكارت » / ص ١٠١ — ١٠٢ (فى الهامش) ، ود. عثمان امين / ديكارت / ص ١٠٠ .

(٤١) الذى ظل كاثوليكيا مخلصا لا لشىء الا لأن الكاثوليكية هى مذهب بلاده ومليكه . انظر برتراند رسل/ The History of Western Philosophy / ص ٥٨١ ، وحكمة الغرب / جـ ٢ / ص ٦٨ . وانظر د. عثمان امين / ديكارت / ص ٤٦

(٤٢) انظر فى ذلك ديكارت . Discours de la Methode

يستغرق الدين كله . ايا ما يكن الأمر فانى لا أوافق الرافعى على خشيته على الدين من البحث والشـك ، والمهم ان يكون شكا ايجابيا غايته الوصول الى بر اليقين وبرده . والاسـلام هو الدين الوحيد الذى لا يخـاف عليه من البحث والتمحيص . انه دين العقل والمنطق ، والقـرآن لا يطلب أبدا من أحد ان يسـلم بوجود الله او بصدق محمد ﷺ او بجمـال تشريعاته وفائدتها للبشرية تسليما أعمى ، فان مثل هذا التسليم معيب فى نظـر القرآن عيبا شديدا ، بل تسليم العقل والاقتنـاع الحر ((ولا خوف عليه مما حدث مثلا للنصرانية واسرارها الغامضة ، التى رفضها الفلاسفة الأوزبيون الذين تأثروا بمنهج ديكارت ، فليس فى الاسـلام غموض ولا أسرار ، وهو لا يطلب من اتباعه أن يؤمنوا بأشياء تخالف العقل))(٤٣) .

ومن هنا فانى لا افهم موقف طه حسين المراوغ حين حاول أن يوهمنا بأن الانسان قد يشـك بعقله فى الوقت الذى يكون قلبه فيـه مطمئنا ،

=

ص٨٢ — ٩٠ ، وترجمة محمود محمد الخضيرى لهذا الكتاب (بعنوان ((مقالة عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة والعلوم))) ص ٥٨ — ٧٣ ، وكذلك ديكارت / التأملات فى الفلسفة الأولى ((ترجمة د. عثمـان أمين) ص ١٥٢ — ١٦٥ . وانظر ايضا برتراند رسل فى كتابه The History of Western Philosophy ومادة Descartes فى كل من Dictionnaire Générale de Biographie et d' Hstoire... لمؤلفيه Ch. Dezobry & Th. Bachelet ج / ص / ٧٧٩ ، وكذلك A Dictionary of Philosophy لمحـرره Antony Flew ص ٨٤ — ٨٥ . وانظـر كذلك د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / ص ٦٨ — ٦٩ ، ود. توفيق الطويل / اسس الفسلفة / ص ١٥١ .

(٤٣) انظر فى تأثير منهج ديكارت على الفلاسفة الذين هاجموا النصرانية أو رفضـوا تعاليمهـا المتصلة بما يسمى أسرار الكنيسة ، عثمـان أمين / ديكارت / ص ٢٧٣ — ٢٧٥ .

وانه هو ، برغم انكاره بعض ما جاء فى القرآن ووصفه له بأنه مجرد أساطير صنعت لاغراض سياسية ، مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بل قلت انه كان ينبغى عليه أن يختار بين الدين والبحث العلمى ما دام يرى انهما متعارضان ، على الأقل احتراما للقانون الفطرى الذى اشار اليه ديكارت (أليس يزعم طه حسين انه يجرى على منهج هذا الفيلسوف ؟) ، وهو قانون « عدم التناقض » . ان منهج الشك الديكارتى هو منهج شامل ، بمعنى ان ديكارت قد طبقه على كل شىء ، وبداه من البداية الأولى ، فشك حتى فى وجود نفسه ، اما طه حسين فانه لم يشك الا فى « الشعر الجاهلى » . وقد انكر كذلك المصدر الالهى للقرآن ، وان ادعى أنه لم يفعل . وهو ما جعلنا نقول انه كان ينبغى عليه اولا ان يبين لنا موقفه بصراحة ووضوح منه ، بدلا من هذا الجمع بين المتناقضات (٤٤) .

وبالاضافة إلى ذلك فقد اخذ الرافعى على طه حسين أنه لا يطرد شكه فى الروايات الا حين لا يعجبه مضمونها على حين يسارع بتصديقها اذا راى انها تخدم فكرته (٤٥) . والواقع انه كان ينبغى على طه حسين ان يجعل الروايات كلها أمام نظره سواء ، فيعاملها كلها على انها مشكوك فى صحتها حتى تثبت له صحتها بالمنهج الديكارتى الصارم الذى زعم انه سيدرس الشعر الجاهلى على اساسه ، أو على الأقل كان عليه أن ينظر اليها جميعا على أنها صحيحة الى ان يجد فيها ما يجعله يرفضها . أما الوزن بميزانين فليس من المنهج العلمى فى شىء . ان القاعدة الرابعة

---

(٤٤) صرح طه حسين بعد ذلك ، كما راينا فيما سبق ، بان نظرته الى الدين وضعية ، اى انه صناعة بشرية ، نبع من الأرض ولم ينزل من السماء ، بمعنى انه ليس وحيا الهيا .

(٤٥) انظر راية القرآن / ص ١٧٥ .

من قواعد ديكارت الأربع التى سبقت الاشارة اليهـا تقتضى من البـاحث ان يقوم فى كل الحـالات باحصاءات كاملة ومراجعات شاملة تجعل الشخص على يقين من انه لم يغفل شيئا (٤٦) . وطه حسين للأسف لم يحترم هذه القـاعدة ولم يفعل شيئا مما تطالب البـاحث ان يقوم به ، بل لعلهـا لم تخطر له على بال او على الأقل لم تكن واضحة فى ذهنه .

وفى ضوء هذا ينبغى ان ننظر الى ماأخذه عليه المرحوم الرافعى من انه قد ينتقل فى خلال اسطر معدودات من النقيض الى النقيض ، كمـا هو الحـال فى حديثه عن ايام العرب وحروبهم ، اذ قال (٤٧) « فحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وحرب الفجـار وهذه الايام الكثيرة التى وضعت فيها الكتب ونظم فيها الشعر ليست فى حقيقة الأمر ، ان استقامت نظريتنا ، الا توسيعا وتنمية لأساطير وذكريات كان العرب يتحدثون بها بعد الاسلام» ، فعلق الأستاذ الرافعى على ذلك بقوله (٤٨) : « ولعلنا لم نر فى كتـاب طه كلمة تدل على العقل الا قوله فى هذه العبارة : « ان استقامت نظريتنا » وتعليقه الرأى على هذا الشرط . وهو شرط بليغ ، ثم هو بعيد عمـا يأخذ فيه الشيخ من معاسف الرأى ومعاميه . وهو كذلك من ادب العلم ، اذ لا حكم الا بيقين ، فان كان الشك ترك الحكم معلقا . غير ان طه لم يتجاوز هذا العقل بعشرة أسطر حتي هاج به داؤه واعترته النوبة ، فاذاهو يقول : « وكل ما ترى من ايام العـرب وحروبها وخصوماتها وما يتصل بذلك من الشعر خليق أن يكون موضوعا ، والكثرة المطلقة منه موضوعة من غـير

---

(٤٦) انظر د. توفيق الطويل / أسـس الفلسفة / ص ١٥٠ ، وبرتراندرسل / حكمة الغـرب / ج ٢ / ص ٧٠ .

(٤٧) فى الشعر الجاهلى / ص ١٠٣ .

(٤٨) تحت راية القـرآن / ص ٣٧٤ .

شك » (٤٩) . ان من المؤكد أن أسئلة الرافعى التالية التى وجهها الى طه حسين هى مما يقتضيه المنهج الديكارتى (ومنهج البحث العلمى) ، الذى يستند الى الاحصاءات والمراجعات الدقيقة كما سلف القول . وهذه الأسئلة هى : « كم يوما من ايام العرب تعرف أيها الشيخ ؟ وفى كم كتاب هى ؟ وكم ديوانا وضع فيها من الشعر ؟ وما هى ؟ واين هى ؟ وما الذى وقفت عليه منها حتى تقطع على كل ذلك بأنه من عمل القصاص وانه زيادة وتوسعه فى الأساطير ؟ »(٥٠) وهى اسئلة ليس فى كتاب طه حسين ولا اظن انه كان عنده (وقتها على الأقل) اجابة عليها ، وهو ما يدل فى الحقيقة على أن طنطنته بديكارت ومنهج ديكارت انما هى طنطنة على غير اساس .

وهناك امثلة اخرى من هذا التناقض الذى يصوره الرافعى بأسلوبه الساخر قائلا : « والعجب ان الشيخ كثيرا ما يضع راسه فى موضع ثم لا تكون الا وثبة فاذا رجلاه فى موضع راسه . » ومن ذلك ما أشار اليه الرافعى رحمه الله مثل **نفى الدكتور طه حسين اننا لا نعرف شيئا آخر عن امرىء القيس الا اسمه** ، على حين انه قال قبل ذلك انه يقبل «ان امرا القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما الى ذلك»(٥١) ويعقب

---

(٤٩) من المعروف عن طه حسين انه يكثر فى مقدماته من استعمال عبارات مثل « لعل » و « ربما » و « قد يكون » و « لا يبعد أن يكون » ... الخ ، ثم يقفز فى النتائج التى يرتبها على هذه المقدمات المهزوزة الى الجزم والقطع . وقد لاحظنا انه متأثر فى ذلك بطريقة بعض المستشرقين . انظر كتابنا / المستشرقون والقرآن / ص ٩٣ . كما تنبه د. احمد كمال زكى الى هذه السمة فى اسلوب طه حسين . انظر ص ١٨٩ من « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(٥٠) تحت راية القرآن / ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

(٥١) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٤٨ ، ١٥٥ « وتحت راية القرآن » / ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

الرافعي على هـذا بقوله : « وهنا كما ترى حذاء الشيخ مكان رأسه ، والا فهل كان اسم امرىء القيس هو الذى قيد الأوابد واخترع كل تلك المعانى ؟ » (٥٢) .

وقد اشار الرافعى الى تناقضات إخرى فى انكار الدكتور طه . ومنها التناقض الذى فى كلامه عن طرفة بين العبد ، اذ يقول عن معلقته : « فى هذا الشعر شخصية بارزة قوية لايستطيع من يلمحها أن يزعم أنها متكلفة منتحلة او مستعارة . وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الالحاد ، بينة الحزن واليأس والميل الى الاباحة فى قصد واعتدال . . . وليس يعنينى أن يكون طرفة قائل هذا الشعر ، بل ليس يعنينى ان اعرف اسم صاحب هذا الشعر ، وانما الذى يعنينى هو ان هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال »(٥٣) . وقد بين الرافعى بفكره الثاقب مافى هذا الكلام من تناقض يهدم فكرة الكتاب الذي ورد فيه هدما . قال رحمه الله : « فانظر كيف تفهم هذا الخبط . وهل كل شعر يقوله شاعر الا هو صحيح لا تكلف فيه ولاانتحال بالاضافة الى قائله ، ثم هو بعد ذلك اذا نسب الى غير قائله كان موضوعا على هذا الذي نسب اليه ؟ واذا نحن ذهبنا هذا المذهب في كل ما يروى عن الجاهلية فقلنا : لا يعنينا ان يكون قائل هذا الشعر فلانا او غيره ولم ننظر الا الى الشعر فى نفسه ، فماذا يبقي من كتاب طه حسين ؟ وما فائدة بحثه فى الشعر الجاهلي ، وانما يقوم هذا البحث علي اثبات الشعر لمن عزى اليهم او نفيه عنهم بعد الادلال بالحجة على هذا او علي ذلك ، و « لا يعنينى » تطلق البحث من هذين القيدين معا »(٥٤) . وفي موضع آخر

---

(٥٢) تحت راية القرآن / ص ٢٩٩ .

(٥٣) فى الشعر الجاهلى /ص ١٧٧ .

(٥٤) تحت راية القرآن / ص ٣٣٩ . وانظر ص ٢٣٥ — ٢٣٦ حيث يشير الى تناقض طه حسين فى كلامه عن الوحدة فى القصيدة العربية .

نجده رحمه الله يذكر انه قد نصح طه حسين بان يراجع مايمليه لينفى منه التعارض (٥٥) .

كذلك مما ياخذه الرافعي عليه مما يتعارض مع المنهج الديكارتى انه « لا يبحث كما يدعى وكما هو الأصل فى مذهب ديكارت ، وانما يقرر تقريرا . وشتان بين بحث يراد منه ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة وبين تقرير النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع لها الأدلة . فان الأول يصلح على التجرد من الأسباب التى تؤثر فى الراى كالعاطفة والعصبية وغيرهما ، واما الثانى فزعم التجرد فيه حماقة وسخرية ، لأن النتيجة المعينة لا تجانب الا مقدماتها . وهذه الأسباب لا تقوم الا باحوال مقررة منها الراى والعصبية والميل والهوى ونحوها» (٥٦) .

ومن هنا يتهمه بتحريف النصوص وقسرها على النطق بماليس فيها (٥٧) .
وقد أورد رحمه الله عدة امثلة لذلك . ومنها انه حين يقول ابن سلام عن وضع الشعر على الجاهليين : « ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الأشعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم أن يقول الرجل من اهل بادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال » (٥٨) نجد ان طه حسين ينسب اليه انه يقول « ان أهل العلم قادرون على ان يميزوا الشعر الذى ينتحله الرواة (كذا ...)

---

(٥٥) تحت راية القرآن / ص ٣٣٥ .
(٥٦) المرجة السابق / ص ١٩٩ .
(٥٧) السابق / ١٩٩ .
(٥٨) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص فى « طبقات فحول الشعراء » (بتحقيق محمود شاكر) / ص ٣٩ مع اختلاف فى الصياغة جد طفيف .

فى سهولة ، ولكنهم يجدون مشقة وعسرا فى تمييز الشعر الذى ينتحله العرب انفسهم (٥٩) » . ويعقب الرافعى رحمه الله على ذلك بقوله : « فانظر الى الفرق البعيد بين قول ابن سلام : « الرجل من اهل بادية » وبين قول طه : « الذى ينتحله العرب انفسهم » . وتأمل معنى « يشكل بعض الاشكال » ومعنى . « يجدون مشقة وعسرا » (٦٠) . وهذا مجرد مثال ، والا فهناك أمثلة أخرى يمكن للقارىء ان يرجع اليها فى صفحات ١٧٧ — ١٨١ ، ١٩٠ — ١٩٢ ، ٢٢١ — ٢٢٤ ، و٢٥٣— ٢٥٥ ، و٩١ — ٩٤ من « تحت راية القرآن » . وقد تنبه د . أحمد كمال زكى لهذا العيب ، اذ ذكر ان طه حسين قد « أورد اقوالا نسبها الى ابن سلام وهى لا توجد فى كتابه » (٦١) . كما أشار الى انه كان يبتر من النص مايتعارض مع مايريد ان يقوله (٦٢) .

هذا فيما يتعلق بمنهج الدكتور طه حسين وطريقته فى تناول قضية النحل فى الشعر الجاهلى ، ولكن ماذا عن ردود الرافعى على آراء الدكتور طه نفسها فى هذه القضية ؟

اننا لن نستطيع ان نورد كل آراء الدكتور طه وردود المرحوم الرافعى عليها ، اذ علاوة على ان الرافعى رحمه الله لم يرد على كل ما قاله الدكتور طه (٦٣) فليس همنا هنا هو استقصاء آراء الدكتور وردود

---

(٥٩) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص موجود فى ص ٦٧ من كتاب الدكتور طه حسين .

(٦٠) تحت راية القرآن / ص ١٨٠ .

(٦١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٨٨ .

(٦٢) المرجع السابق / ص ١٨٩ .

(٦٣) انظر ما قاله فى هذا الصدد / ص ٣٣٤ من / تحت راية القرآن .

الرافعى عليها والا لكان معنى هـذا اننا نعيد نشر كتابيهما لا اننا نكتب بحثا عن هذين الكتابين وما اثاراه من قضايا ، ولتضخمت كذلك دراستنا هذه تضخما لا نرضاه ، وانما حسبنا ان نشير الى بعض الأمثلة . فبالنسبة لما يسمى بدليل المحتوى الدينى الذى يقوم فيما يقوم عليه على أن شعر اليهود والنصارى ليس فيه ما يدل على ديانة قائليه يتساءل الرافعى قائلا : « وهل شعر النصارى واليهود الا كشعر سائر العرب فى الفخر والهجاء والوصف والنسيب وغيرهما ؟ أم حسب الدكتور ان شعر النصرانى يجب ان يكون فى عقائده وانجيله وشعر اليهود فى توراته وتجارته ؟ ولعله لا يعلم ان اضعف ما يكون الشعر فى الصناعة اذا هو تناول هذه المعانى واشباهها كما يقع فى شعر العلماء والمتصوفة حتى قالوا : ان شعر حسان بن ثابت نزل فى الاسلام الى دون ما كان عليه فى الجاهلية » (٦٤) . والحق ان هذا ليس برد ، اذ ليست المسالة هى البحث عن سبب ضعف الشعر الدينى ان صحت دعوى الضعف واللين ، وانما هى البحث عن سبب اختفائه من اشعار الجاهليين . ولنفترض اننا وافقناه على أن شعر حسان ضعف فى الاسلام فيبقى السؤال هو : ولماذا لم يصل الينا شعر الجاهليين فى الدين على ضعفه ولينه كما وصل الينا شعر حسان ؟ وليس شرطا ان يكون الرد هو أن المسلمين قد محوا ذلك ، فانهم لم يمحوا مجادلات الكفار واهل الكتاب لرسولهم ولا آراءهم فيه عليه السلام وفى القرآن واتباعه بل وفى الله سبحانه نفسه . بل ان القرآن ذاته قد سجل افكارهم وعقائدهم وسفاهاتهم . كذلك فان هـذا السؤال لا يسوغ ابدا اتهام الشعر الجاهلى بانه ملفق ، فهذا غير هذا . ان ضياع بعض الشعر الجاهلى شىء واتهام هذا الشعر جميعه بالزيف شىء آخر .

ومع ذلك فان الرافعى يعلل ضياع هذا اللون من الشعر بـ «سقوط الرواية

---

(٦٤) تحت راية القرآن / ص ١٣٤ .

وضياع الكتب لا بضياع الشعر فى نفسه باهمال المسلمين » ، ثم يذكر اشارات بعض المؤلفين القدامى الى ما كان موجودا من هذا الشعر على السنة الرواة وفى بطون الكتب قبل ان يضيع ، ومن ذلك اشارة الجاحظ الى اشعار اليهود ، التى كانت نوعا متميزا من طرائف الشعر ، وكتاب المرزبانى الذى كان فى اكثر من خمسة آلاف ورقة وكان احد ابوابه خاصا بديانات الشعراء فى اشعارهم ومنهم اليهود والنصارى (٦٥) . وهو تعليل وجيه ولكنه غير كاف ، اذ السؤال هو : ولماذا ضاع الشعر الدينى بالذات من شعر الجاهلية ؟ هل يمكن القول ان الدين كان قد ضعف فى نفوس الجاهليين وان الشعر الدينى فى قصائد الفحول والمشاهير منهم قليل ، بخلاف المسلمين اول امرهم مع الاسلام ، اذ كان يخالط منهم العظام ، ولذلك اثر عن فحولهم ومشاهيرهم شعر دينى ؟ على كل حال ففى كتاب « الأصنام » لابن الكلبى أشعار كثيرة تصور الحياة الوثنية عند العرب . وكذلك للأب لويس شيخو كتاب « شعراء النصرانية » ، وفيه اشعار كثيرة تدل على نصرانية قائلها ، وان غالى المؤلف كثيرا فنسب كل من هب ودب الى ديانته تعصبا منه لها . ثم انه لاتزال هناك كتب لايحصيها العد لاتزال مخطوطة ، وكثير جدا منها مبعثر وبعيد عن أيدى العلماء والمحققين ، فربما كان كتاب المرزبانى المشار اليه وكتب اخرى مشابهة له بين هذه المخطوطات .

ويتصل بهذه المسالة رد الرافعى على زعم الدكتور طه ان القرآن يدل على انه كان للعرب حياة عقلية قوية وقدرة على الجدال الدينى والفلسفى أنفق القرآن فى جهادها حظا عظيما (٦٦) اذ يرى الرافعى أن « معنى الخصام واللدد انهم سفهاء اهل تكذيب وعناد ومكابرة ... لا يمكن صرفهم عن راى يكون فيه الهوى ، كما لايمكن مثل ذلك فى الجاهل الأحمق

---

(٦٥) المرجع السابق / ص ١٣٥ .

(٦٦) انظر فى الشعر الجاهلى / ص ٢٠ .

المصر المبتلى بالاستهتار والشـــك » (٥٧) . وهذا فى الواقع هو الفهم الصحيح لما ورد فى القرآن عن هـــذا الموضوع . وكمادة الرافعى فى كثير من ردود ه على الدكتور طه نراه هنا يتهكم به فيقول : « يا فضيحة الجامعة المصرية فى جامعـــات الأمم ! الا يتفضل استاذها على الأدب والتـــاريخ فيذكـــر لنـــا مجلسا واحدا من هذه المجـــالس العربية الفلسفية التى ينفقون فيها حياتهم ؟ ... امن حججهم (اى العـــرب) الفلسفية كانت تلك الحجارة التى نص التـــاريخ على انهم كانوا يقذفون بها النبى ﷺ حتى يلجئوه الى الحائط وذلك التـــراب الذى كانوا ينثرونه على رأســـه أم قولهـــم : شاعر وساحر وكذاب ومجنـــون ... ؟ ومتى كانت هذه من صـــفات الفلاسفة يا شيـــخ الجامعة ؟ ... » . وهـــذا كما ترى تهكم مصم يقويه انه قائم على اســـاس صلب من المنطق والفهم الصحيح لنصـــوص القرآن والمعرفة الســـليمة بتاريخ العرب فى الجاهلية واحوالهم العقلية والروحية .

وبالنسبة للدليـــل اللغوى الذى يستند الى أن الشعر الجـــاهلى لا يعكس اختلاف اللهجات بين القبائل والذى على اساسه يتســـاءل الدكتور طه قائلا : « اذا لم يكن نظم القرآن وهو ليس شعرا ولا مقيدا بما يتقيد به الشعر قد استطاع أن يستقيم فى الأداء لهذه القبائل (يريد اختلاف القراءات) فكيف استطاع الشعر ؟ وكيف لم تحدث هذه اللهجات المتباينة آثارهـــا فى وزن الشعر وتقطيعه الموسيقى ؟ » يرد الأستاذ الرافعى بانه كان على الدكتور طه ان يستقـــرى اللهجات قبل أن يعتـــرض بها ، وانه لو كان فعل لرآهـــا فى الجملة لا تغير شيئا من اوزان الشعر ، اذ هى فى معظمها ابدال حرف بحرف او حركة بحركة او مد بمد . ثم ان العلمـــاء قد نصوا على أن العربي الفصيح غير مقيد بلهجة قبيلته اذا عارضت طبع الفصاحة

---

(٦٧) تحت راية القرآن / ص ١٥٤ .

(٦٨) المرجع السابق / ص ١٥٣ — ١٥٤ .

فيه . كذلك فان اقدم ما وصل الينــا من الشعر الجــاهلى يرجع تاريخه الى مائة عام قبل الاســلام ، اى فى الزمن الذى نهضت فيه اللغة و اخذ العرب بعضهم عن بعض . ومع ذلك كله فقد تظهر فى الشعر لهجة القبيلة التى ينتمى اليهــا الشاعر . ثم يورد الرافعى شاهدا على ذلك من الشــعر ومن حديث رسول الله ﷺ (٦٩) . وهو رد منطقى سليم ، وبخاصة مافيه من اشــارة الى أن العــرب فى القرن السابق على الاسـلام قد عرفوا لغة موحدة ، وان كنت لا أستبعد أن يكون تاريخ ذلك أقدم كثيرا جدا من مجــرد قرن . والعجيب أن يستند الدكتور طه الى اختلاف اللهجــات بين القبائل غافلا عن ان لهجة كل اقليم من الأقاليم العــربية منذ الاســلام حتى الآن تختلف عن لهجــات الأقاليم العربية الأخرى بل ان ذلك يصــدق تماما على لهجات النواحى المختلفة داخل الاقليم الواحــد ، ومع ذلك فان الكتــاب والأدباء والشعراء اذا ابدعوا فانما يبدعون باللغة الفصحى . كذلك غفل الأستاذ الدكتور عن أن رسول الله ﷺ هو وأصحابه لم يجدوا أدنى صعوبة فى التفاهم مع أهل أى صقع من اصقاع الجزيرة العربية ولا وجد هؤلاء من ناحيتهم اية صعوبة فى التفاهم مع النبى والمهاجرين والأنصار ، ولا حتى أهل اليمن او أهل البحرين ، وهما أبعــد منطقتين فى الجزيرة العربيــة عن مكة ويثــرب موطنى الرسول وصحابته الأوائل . ولا يصح أن يقال ان القرآن والاسلام قد وحد لغة العــرب جميعا ، فان هذا التفاهم كان قائما منذ اللحظة الأولى التى اتصل فيها العرب من القبائل المختلفة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، اى قبل ان يفعل القــرآن فعله المشــار اليه .

---

(٦٩) انظــر فى هذه المسألة « فى الشعر الجــاهلى » / فصل « الشعر الجاهلى واللهجــات » / ص ٣١ وما بعدها ، « تحت راية القرآن » ص ١٤٢ — ١٤٣ .

ان الدكتور طه « والرافعى الى حد ما » (٧٠) ينسى ان هـــذه اللهجات قد تفرعت من أصل واحد ، لا كما يريدنا ان نعتقد من انهـــا قد توحدت فى لهجة واحدة هى لهجة قريش ، واذن فانهـــا مهما اختلفت فهو كاختلاف لهجاتنـــا الحالية ، الذى لا يمنع المثقفين على الأقل من التفاهم باللهجة الفصحى « أو بلهجة قريبة منها » ، أو من الكتابة (عند ما يكتبون) بهـــذه اللهجـــة الفصـــحى . ومن المثقفـــون فى العصر الجـــاهلى ، ان لم يكونوا هم الشعراء والخطباء ؟ ثم ان العرب ، وان انقسموا قبائل ، كانوا متصلين ببعضهم البعض عن طريق الانتجـــاع والمصاهرة والحـــروب والمحالفات والتجارة والحج الى البيت الحـــرام واللقاءات الادبية وغير ذلك . ومن شـــان هذا الاتصـــال ، لا اقول : ان يقيم ، بل يحـــافظ على هذه القرابة اللغوية بين اللهجـــات المختلفة .

ويدخل فى الدليـــل اللغوى ماقاله الدكتور طه حسين (٧١) من انه « قد يكون لنـــا أن نلاحظ ... ملاحظة لا ادرى كيف يتخلص منهـــا انصار القديم ، وهى ان امرأ القيس ، ان صحت احاديث الرواة (يقصد : أن صح انه كان له وجود حقيقى) ، يمنى وشعره قرشى اللغة . ولغة اليمن مخالفة كل المخـــالفة للغة الحجـــاز ، فكيف نظم الشاعر اليمنى شعره فى لغة أهل الحجاز ؟ ... واعجب من هذا أنك لا تجد مطلقا فى شعر امرىء القيس لفظا او اسلوبا او نحوا من أنحـــاء القول يدل على انه يمنى ، فمهما يكن امرؤ القيس قد تأثر بلغة عدنان فكيف نستطيع ان نتصـــور ان لغته محيت من نفســـه محوا تاما ولم يظهر لهـــا اثر فى شعره ؟ نظن أن انصـــار القديم سيجدون كثيرا من المشقة والعنـــاء ليحلوا هذه المشـــكلة » . وقد رد

---

(٧٠) انظر تفصيل رايه فى ذلك فى / ص ٣٧٠ — ٣٧٤ من كتابه الذى نحن بصدده .

(٧١) فى الشـــعر الجـــاهلى / ص ١٤١ .

الاستاذ الرافعى بان على طه حسين اما أن ينكر وجود امرىء القيس انكارا صريحا ، وعندئذ فسوف تكون حجته عليه فى ذكر هذا الشاعر فى الاحاديث المروية عن النبى عليه الصلاة والسلام وكلام عمر وعلى وشعر الفرزدق وجرير وغيرهم ، وأما أن يقر بوجوده اقرارا صريحا ، وعند ذاك تبقى مشكلة اللغة التى ظن ان انصار القديم سيجدون فى حلها كثيرا من المشقة والعناء ، والتى لا صعوبة أيا كانت ، مع ذلك ، فى حلها ، اذ ذكر ابن رشيق ، على سبيل المثال ، ان امرأ القيس ، وان كان يمنى النسب ، هو نزارى المولد والمنشأ ، أى انه لم يولد باليمن ثم تنقل بعد ذلك فى قبائل العرب حتى يقال : كيف نسى لغته ؟ ولغته اذن هى لغة عرب الشمال الذين ولد فيهم ونشأ فى ديارهم لا الجنوب (٧٢) . وهو رد مفحم يسد الطريق على الدكتور طه سدا لو انه يحتكم فى آرائه فى كتابه الذى نحن بصدده الى المنطق ، لكنه للأسف يستسهل ان يرمى العرب والمسلمين جميعا ، من علماء وساسة وقصاصين وشعراء ومتدينين ، بالكذب . حتى القرآن نفسه اتهمه بأنه قد وضع يده على أسطورة القرابة النسبية بين العرب واليهود التى شاعت فى العصر الجاهلى واستغلها لأسباب سياسية .

وما دمنا بصدد الحديث عن امرىء القيس فلنذكر رد الرافعى رحمه الله على الدكتور طه ، الذى ينكر وجود امرىء القيس ، معتمدا الى جانب الدليل اللغوى ، الذى فرغنا منه آنفا ، على أن بعض وقائع حياته مشابهة فى خطوطها العامة جدا لبعض الوقائع فى حياة عبد الرحمن بن الأشعث ، وانه ربما اراد قوم ان يؤرخوا له من غير ان يلفتوا نظر الامويين ، الذين ثار عليهم ابن الأشعث وخلع طاعتهم . ويتلخص رد الرافعى على هذا

---

(٧٢) انظر تحت راية القرآن /ص ٢٦٥ — ٢٦٦ وانظر كذلك د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ٢٤٨ ، حيث يسوق هذا الرد فى تفنيد شبهة د. طه حسين .

المنطلق الغريب فى انه وضع احداث حياة امرىء القيس وابن الأشعث وجها لوجه ، وبين أن المشابهات بينهما ليست بالأهمية التى يدعيها طه حسين ، ولا تدل من ثمة على شىء مما ذهب اليه ، وكذلك أن الناس متشابهون بوجه عام ، ولذلك فقد تتشابه بعض الأحداث الكبرى فى حياتهم . كذلك ان المؤرخين واصحاب الأخبار قد دونوا اخبار ابن الأشعث وحروبه بأسانيدها ، فكيف يلجأ أهله الى هذا اللف والدوران على حين يذكر المؤرخون اخباره بصراحة لا موارية فيها ؟ ثم يفترض الرافعى أن مزعم الدكتور طه حسين صحيح ، ثم يعقب بأنه ليس من الفخر ان قصاص ابن الأشعث قد جعلوه شاعرا طرده أبوه ، ووصفوه بالتصعلك والعهر والفحش ، وجعلوه عاجزا ضائعا فى القبائل لا يأخذ بثار ابيه .. الخ . وذلك غير عدد من الأخطاء التاريخية الفاحشة المتصلة بهذا الموضوع والتى تورط فيها الدكتور طه ورده الرافعى فيها الى الصواب مما يمكن القارىء الرجوع الى كتاب الرفعى للاطلاع على تفاصيلها (٧٣) .

ويضيف الدكتور طه دليلا فنيا على ان الشعر الذى قاله امرؤ القيس فى رحلته الى قيصر هو شعر موضوع ، وهو أن هذا الشعر يخلو تماما من الاشارة الى مظاهر الحضارة فى قسطنطينية من كنائس أو قصور أو نساء روميات (٧٤) . ولكن الرافعى يلفت نظره الى أن المتنبى مثلا قد جاء الى مصر وعاش فيها وخالط اهلها ، ومع ذلك فليس فى شعره وصف للهرم مثلا ، وكل ما كان أنه ذكر كلمة « الهرمين » فى شعره ، كما ذكر امرؤ القيس لفظه « قيصر » فى شعره . ويتساءل الرافعى ساخرا : « أم تحسب أن الهرم كان يومئذ صغيراً ثم كبر ؟ » (٧٥) . هذا ، ولعل

---

(٧٣) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٣٤ وما بعدها ، وتحت راية القرآن / ص ٢٧٨ — ٢٨٤ .

(٧٤) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٤٠ .

(٧٥) انظر « تحت راية القرآن » / ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

القارىء يذكر ما قلناه فى اوائل هذا البحث من ان كاتب مادة « امرؤ القيس » فى دائرة المعـارف الاسلامية يصدق بحقيقة امرىء القيس بل وبرحلته الى القسطنطينية ، وان رفض قصة الحب بين الشـاعر العربى وابنـة القيصر . ومع ذلك فاننا لا نستطيع ، فى حدود ما نعـرف حاليا عن امرىء القيس ، ان ناخـذ جانب الرافعى او طـه حسـين فى مسالة زيارتـه للقسطنطينية ، ولكنى أحيل القارىء الى ما كتبه الدكتور شوقى ضيف فى تحقيقه لهذا الأمر الذى انتهى فيه الى الظن بأن « امرأ القيس الشاعر الكندى لم يزر قيصر بيزنطة » بل الذى زاره هو امرؤ القيس اللخمى ، الذى اختلطت اخباره فى ذاكرة العـرب ، كما يقول ، بأخبار الشاعر (٧٦) . بيد أن موقف الدكتور شوقى ضيف من هذه الرحلة شىء وموقفه من امرىء القيس كشخص حقيقى شىء آخـر ، فانه لا يشـك فى هذا ابدا ، بل انه يحـاول حتى تحديد بعض التواريخ الهـامة فى حياته ، كتاريخ ثورة القبائل على ابيه وأعمامه وتاريخ وفاته (٧٧) .

هذه بعض آراء د.طه حسين وردود المرحوم الرافعى عليها . وليس معنى هذا أن الأستاذ الرافعى ينكر أن فى الشعر الجـاهلى منحولا ، بـل انه على العكس يرى ان كثيرا من الشعر الجاهلى قد ضـاع وان بعضه منحول (٧٨) . كذلك فانه قد التفت الى اختلاف الروايات أحيانا للبيت الواحـد والقصيدة الواحدة ، وعلله باعتماد الرواة على الذاكرة التى رغم

---

(٧٦) انظر « العصر الجـاهلى » / ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

٧٧ المرجع السابق / ص ٢٤٣ . وحبذا لو رجع القارىء الى الفصلين اللذين كتبهما الأستاذ الدكتور عن الشاعر وقبيلته وحياته باكملها / ص ٢٣٢ — ٢٤٣ .

(٧٨) انظر « تحت راية القرآن » / ص ١٣٥ — ١٣٦ .

قوتها فى تلك الازمان كانت كأى شيء بشرى عرضة للهو والنسيان (٧٩) .
وقد سبق أن أشرنا الى انه عقد للرواية والرواة وقضية الوضع فى الشعر الجاهلى بابا كاملا فى الجزء الأول من كتابه « تاريخ آداب العرب » فصل فيه القول فى هذه القضية وذكر الأسباب المختلفة التى دعت الى وضع الشعر وحمله على شعراء الجاهلية . الا أن قوله ان الدكتور طه قد بنى كتابه « فى الشعر الجاهلى » على هذا الباب (٨٠) غير مسلم ، لانه رحمه الله لم يأت فى هذا الباب بشيء مهم ينفرد به عما قاله القدماء (٨١) ، علاوة على ان دعواه هذه تتعارض مع اتهامه له بالنقل عن هوار ومرجليوث وغيرهما من المستشرقين .

ومما لا اتفق معه فيه تماما قوله ان « بيننا وبين الجاهلية ثم من نقلوا عنها أزمانا متناسخة كادت توفى خمسة عشر قرنا ، وقد باد أكثر الكتب وذهبت فيها أقوال الرواة وعلم العلماء مما حققوه ونصوا عليه وما تسامحوا فيه وتوسعوا به ، فلا يجوز لكائن من كان بين قطبى الأرض أن يثبت أو ينكر ويزيد او ينقص الا بنص عن المتقدمين ، لأن هذا العلم لا يمكن أن يستقيم على اتباع الظن ولا أن يصح على الشك . فان محل الفرض والتخمين والحدس والاستنتاج انما يجيء بعد ان تجتمع المادة من اطرافها بحيث لا يشذ فيها الا القليل الذى يفرض فيه لقلته انه لا ينقض حكما ولا يبطل رايا ، للاستغناء بالنصوص الأخرى المتواترة

---

(٧٩) المرجع السابق / ص ٣٣٦ .

(٨٠) المرجع السابق / ص ١٣٦ .

(٨١) يمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى هذا الباب من الكتاب المذكور . وانظر ايضا د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلى / ص ٣٧٧ . ود. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ١٧٠ ، اللذين يريان نفس الراى .

التى تتحقق بها غلبة الظن ان لم يات منها اليقين » (٨٢) . ان الرافعى رحمه الله هنا يحجر واسعا ويصدر حكما ليس من حقه أن يصدره ، اذ من قال ان ما لا يدرك كله يترك كله ؟ اننا لو أخذنا بهذا الرأى فسوف يترتب عليه اننا لن نبحث اية مسألة مما يتصل بالقدماء بل ولا بالمحدثين ، اذ متى توفر لأى انسان كل ما يحتاج اليه للقطع برأى يقينى جازم ؟ ان هذا لا يملكه الا واحد فقط هو رب العالمين سبحانه ، الذى احاط بكل شيء علما . ثم ان المرحوم الرافعى يجوز ، كما رأينا ، اصدار الرأى اذا شذ من المادة المطلوبة « القليل ، الذى يفرض فيه لقلته انه لا ينقض حكما ولا يبطل رأيا » . وسؤالنا هو : كيف نعرف أن ما غاب عنا قليل ؟ وبفرض اننا عرفنا ذلك فمن الكفيل لنا بان هذا القليل لو ظهر لنا فلن يقلب نتائجنا رأسا على عقب ؟ كل ذلك واضح معروف ، فما الذى دفع الأستاذ الرافعى الى تجاهله والدخول من ثمة فيما دخل فيه من مضايق ؟ ان كل ما يطالب به الانسان ، اى انسان ، هو أن يستفرغ كل وسعه فى البحث والتنقير والتقصى وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة ، فاذا فعل ذلك مخلصا متريثا وراجع نفسه لعله أن يكون قد نسى شيئا أو سها عن شيء فباستاعته ان يمضى على بركة الله ويصدر ما ارتآه من حكم ، على ان يتجنب الشبهات ويجعل حكمه على قدر علمه ويصوغه صياغة دقيقة واضحة . وليس معنى هذا انه بعد ان يقوم بذلك كله لن يخطىء ، فالخطأ وارد فى كل الأحوال ، وكل المطلوب هو كما قلت الاجتهاد والاخلاص واستفراغ الوسع . والرسول الأكرم عليه صلوات الله وسلامه قد عرفنا أن المسلم اذا اجتهد فاصاب فله اجران ، واذا اجتهد فاخطأ فله اجر . ومع ذلك فانى لا ارى للدكتور طه عذرا ، اذ انه لم يستفرغ جهده فى تقصى موضوع بحثه بل انساق مع شكوك اصطنعها اصطناعا سار

---

(٨٢) تحت راية القرآن / ص ١٣٧ .

بها وراء مرجليوث وغيره من المستشرقين . ومن هنا كانت نتائجه متهافتة أشـــد التهافت .

ويبدو ، والله أعلم ، أن هذا التضييق على البـــاحثين من جانب المرحوم الرافعى راجع الى انه يرى الا ثقة بنص القرآن « ان لم يكن عليه دليـــل من شعرهم (اى عرب الجاهلية) اذ هو وحده المحفوظ عنهم ، وهو كان متن اللغـــة والخبر والأثر . وهو يؤكد انه لولا صنيع العلمـــاء فى جمع هذه الشواهد لقـــام الف زيديق يضيفون الى مطاعنهم فى القرآن ان فيه خطأ فى اللغة » (٨٣) . فان صح فهمنا هنـــا فاننا لا نوافقه رحمه الله على رأيه ، اذ ان مثل هذه الشواهـــد ، مهما كثرت وثبتت صحتها ، لن تمنع من فى قلبه مرض من اتهـــام القـــرآن بما يريد . كذلك فانه يكفى فى نظرنا ان يقول علماء اللغة المسلمون ان هذه اللفظة من القرآن او تلك تعنى كذا . فهم كانوا يعرفون العـــربية كما كان الجـــاهلى يعرفها . ويمكنهم الاستشهاد بالشعر الاســـلامى والأموى على ذلك ، فان هذا الشعر مكتوب بالعربية مثلما ان الشعر الجـــاهلى مكتوب بها . ويكفى فى الرد على اى زيديق يخشى الرافعى أن يطعن فى القرآن بأن فيه خطأ فى اللغة ان نقول ان أحدا مـــن معاصرى الرسول من العـــرب ، بما فيهم الكفار انفسهم وكذلك اليهود والنصـــارى ، لم يعترض على القرآن باى شىء من هذه النـــاحية . اى انه لا خوف على القـــرآن ابدا ، فى نظرنا ، حتى لو افترضنـــا المستحيل وقلنا ان الشعر الجـــاهلى كله مزيف منحـــول . ومن هنا فان الف كتاب ككتاب الدكتور طه حسين لن يستطيع ان ينـــال من القرآن ادنى منـــال . ومن هنا ايضا فاننا نوافق الدكتور طه على انه لا خوف على القرآن مـــن الشـــك فى الشعر الجاهلى ، وان كنا نخالفه فى تعليقه الذى يغمز فيه مصدر القرآن والذى يفهم منه ان الرسول ﷺ هو مؤلفه (٨٤) . كما نخالفه ايضـا

---

(٨٣) تحت راية القرآن / ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٨٤) انظر « فى الشعر الجـــاهلى » / ص ١٨٢ — ١٨٣ .

فى نتائجه التى ظن أن شكوكه المصطنعة القائمة على غير اساس تؤدى اليها . واخيرا فاننا لا نوافق المرحوم الرافعى فى ان أستاذ الآداب يجب أن يكون من المبدعين فى الشعر والنثر لأن الذوق الفنى المصقول الذى تحتاجه دراسة الأدب لا يمكن فى رأيه ، أن يتأتى له الا بهذا الابداع (٨٥) . كما لا نوافقه فى انكاره على طه حسين ان يتكلم فى الشعر لأن شعره ، أيام أن كان ينظم الشعر ، ركيك فى نظره (٨٦) ، فان الموهبة والقدرات التى تلزم مؤرخ الأدب وناقده تختلف عن موهبة الشاعر وقدراته . وقد يكون الانسان شاعرا عبقريا ولكنه ليس بشىء فى تاريخ الآداب ونقدها ، كما أن الانسان قد يكون مؤرخا او ناقدا أدبيا مبرزا فى الوقت الذى لا يتمتع فيه بموهبة الشعر أو النثر الفنى . وهذا من الأمور المتعارفة المفروغ منها ، ولا ادرى كيف غاب عن المرحوم الرافعى . ولعله كان يلمح بذلك الى انه ، وهو الشاعر الحق (فى رأى نفسه) ، أحق من طه حسين بتدريس الأدب العربى فى الجامعة . اننى لا اشاح فى مقدرة الرافعى فى التيلم بهذه المهمة لو كانت أسندت اليه ، فقد كان له من علمه بالتاريخ والأدب العربى وكتب النقد والتراث ومن رجاحة عقله وثقوب نظره كما رأينا فى خلال دراستنا هذه ، وكذلك من ذوقه الأدبى المرهف ، ما كان خليقا أن يساعده خير مساعدة فى هذا السبيل . ومن المؤكد انه كان سيكون أفضل من أى مستشرق ، بل وأفضل من طه حسين نفسه (فى ذلك الوقت على الأقل حين كانت معرفة الدكتور طه بالتراث الأدبى العربى محدودة كما رأينا ، مما أوقعه فى كثير من الاستنتاجات الشاذة المتهافتة) . مرة أخرى أنا لا أشاح فى مقدرة الرافعى عليه رحمة الله ، غير انى لا أوافقه على شرطه هذا المتعنت الذى لو كان يؤمن به حقيقة لوجب عليه ان يرفض

---

(٨٦) المرجع السابق / ص ٢٥١ .

(٨٥) تحت راية القرآن / ص ١٣٠ .

ما كتبه معظم علماء الأدب العـــرب القدماء الذين لم يكونوا شعراء أصلا ، بل شعراء ذوي شعر ركيك ، وهو مالا يمكن أن يقول به ، اذ هو يوليهم ثقته وينقل عنهم ويعتمد عليهم .

وبهذا نصـــل الى ختـــام بحثنا ، الذى نرجو أن يكون قد جاء موضوعيا محايدا كما انتوينـــا حين بدأناه . والله يتقبل أعمالنـــا ويوفقنا دائمـــا الى نور الحـــق .

المصـــادر والمراجـــع

د. ابراهيم عبد الرحمن محمد / بين القديم والجديد / دراسات في الأدب والنقد / مكتبة الشباب / ١٩٨٣ .

د. ابراهيم عوض / تفسير سورة التوبة / ١٩٨٧ .

د. ابراهيم عوض / تفسير سورة المـائدة / ١٩٨٦ .

د. ابراهيم عوض / المستشرقون والقرآن / دار الحقوق / ١٩٨٤ .

د. ابراهيم عوض / مصدر القرآن — دراسة في الاعجاز النفسي / ١٩٨٦ .

د. احمد كمال زكي وآخرون / طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / دار الهـلال .

احمد لطفي السيد / قصة حياتي / كتاب الهلال / عدد ٣٧٧ / مايو ١٩٨٢ .

اسماعيل ادهم / طه حسين — دراسة وتحليـــل / ط . مجلة الحديث/ حلب / ١٩٣٨ .

. اندريه كريسون / ديكارت (ترجمة تيسير شيخ الأرض) دار بيروت / ١٩٥٦ م.

انور الجندي / طه حسين — حياته وفكره في ضوء الإسلام / دار الاعتصـــام / ط ١ / ١٩٧٦ .

برتراندرسل / حكمة الغرب (ترجمة د. فؤاد زكريا) جـ/٢ / عالم المعـرفة / عدد ٧٣ / ديسمبر ١٩٨٣ .

د.توفيق الطويل / اسس الفلسفة / دار النهضة العربية / ط ١٩٧٦/٦ .

د. حسين فوزي النجار / احمد لطفي السيد — استاذ الجيـــل / أعلام العـــرب / عدد ٣٩ / مكتبة مصر .

دائرة المعـــارف الاسلامية / دار الشـعب .

ديكارت / تأملات في الفلسفة الأولى (ترجمة وتقديم وتعليق د. عثمان امين) / مكتبة الانجلو المصرية / ط٤ / ١٩٨٠ .

رينيه ديكارت / مقال عن المنهج لاحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم (ترجمة محمود محمد الخضرى) / ط ١ / المطبعة السلفية / ١٩٣٠ .

سامح كريم / ماذا يبقى من طه حسين ؟ / دار الشعب / ١٩٧٥ .

سامى الكيالى / مع طه حسين / حـ١ / سلسلة اقرأ / عدد ١١٢ .

سامى الكيالى / مع طه حسين حـ٢ / سلسلة اقرأ / عدد ٢٠١ .

سوزان طه حسين / معك / دار المعارف / ١٩٧٩ .

د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / دار المعارف / ط٧ / ١٩٧٦ .

طه حسين / الايام / حـ٣ / المعارف / ط٦ / ١٩٨٢ .

طه حسين / حديث الاربعاء / حـ١ / دار المعارف / ط١١ / ١٩٧٥ .

طه حسين / حديث الاربعاء / حـ٣ / دار المعارف / ١٩٤٥ .

طه حسين / حديث الاربعاء / حـ١ / دار المعارف / ط١١ / دار العرب للبستانى .

طه حسين / فى الادب الجاهلى / دار المعارف / ١٩٦٤ .

طه حسين / فى الشعر الجاهلى / مطبعة دار الكتب / ١٩٢٦ .

طه حسين / مع المتنبى / لجنة التاليف والترجمة والنشر / ط ١ ١٩٣٦ (جزآن) .

عباس محمود العقاد / مطلع النور او طوالع البعثة المحمدية / كتاب الهلال / عدد ٥٠ / مايو ١٩٥٥ .

د. عبد الرحمن بدوى (مشرف) / الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين / ١٩٦٢ .

عبد المتعال الصعيدى / الحرية الدينية فى الاسلام / ط ٢ / دار الفكر العربى .

عبد المتعال الصعيدى / دراسات اسلامية / ط ١ دار الفكر العربى .

عبد المتعـال الصعيدى / مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين / مكتبة الجندى .

د. عثمان أمين / ديكارت / ط٣ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٥٣ .

عثمان نويه / أعلام الفكر الأوربى من سقراط إلى سارتر ح١ / كتاب الهلال / عدد ٣١٣ / يناير ١٩٧٧ .

د. عفت الشرقاوى / دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجـاهلى / دار النهضة العـربية ببيروت / ١٩٧٩ .

فتحى رضوان / عصر ورجـال / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٧ .

كمال ثابت قلته / طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية فى أدبه / دار المعـارف بمصر .

محمد أحمد عرفة / نقض مطاعن فى القرآن الكريم / ط٢ / مكتبة الزهراء / ١٩٨٦ .

محمد أحمد الغمراوى / النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى » / المطبعة السلفية / ١٩٢٩ .

د. محمد حسين هيكل / مذكرات فى السياسة المصرية / ح١ / مطبعة مصر / ١٩٥١ .

محمد سعيد العـريان / حياة الرافعى / ط٣ / مطبعة الاستقامة بالقـاهرة / ١٩٥٥ .

محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء (شرح محمود محمد شاكر) / دار المعارف / ١٩٥٢ .

محمد سيد كيلانى / طه حسين الشاعر الكاتب / ط١ / دار القومية العـربية للطباعة والنشر / ١٩٦٣ .

محمد شلبى / مع رواد الفكر والفن / الهيئة العامة للكتاب / ١٩٨٢ .

د. محمد محمد حسين / الاتجـاهات الوطنية فى الأدب العربى المعـاصر / ح١ / ط٣ / مكتبة الآداب ومطبعتهـا بالجماميز / ١٣٨٢ هـ

محمودشاكر / المتنبى / السفر الأول / مطبعة المدنى / ١٩٧٦ م

د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / سلسلة اقرا / عدد ٢٠٥ / ١٥ ابريـــل ١٩٨٥ .

مصطفى صادق الرافعي / تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والجديد / ط٣ مطبعة الاستقامة بالقـــاهرة / ١٩٥٣ م

د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجـــاهلى وقيمتها التاريخية / دار المعـــارف بمصر / ١٩٥٦ م

د. نعمات فؤاد / قمم أدبية / عالم الكتب / ١٩٦٦ م

مراجع اجنبية

Antony Flew, A Dictionary Of Philosophy, Pan Books, 1979,

Bertrand Russell, A History Of Western Philosophy, George Allen & Unwin Ltd., London 1947.

Ch, Dezobry & Th. Bachelet, Dictionnaire General de Biographie et d' Histoire ....., Paris, Librairie Ch. Delagrave, 1883.

Clement Huart, Arabic Literature, William Heinemann, London, 1903.

Clement Huart, la Litterature Arabe, Librairie Arman Colin, Paris, 1939, 4 ieme edition.

Descartes, Discours, de La Methode, Hachette et Cie, Paris, 1916.

Regis Blachère, Le Coran, Paris, Librairie Orientale et Américaine, 1954.

Earl Of Cromer, Modern Egpt, Vol. II, Macmillan & Co., London,

Encyclopaedia Of Religion & Ethics, vol. 9.

Margoliouth, Mohammed & the Rise Of Islam, G. P. Putman's Sons, New york & Lonbon, 1905.

الدوريات

الاهـــرام / اعداد الجمعة :

٣/١/١٩٨٦ .

١٧/١/١٩٨٦ .

٧/٢/١٩٨٦ .

٣١/١٠/١٩٨٦ .

٧/١١/١٩٨٦ .

١٤/١١/١٩٨٦ .

الثقافة / سبتمبـــر ١٩٧٨ ، ونوفمبر ١٩٧٩ ، وفبراير ١٩٨٠ .

الجريدة / ٣٠/٤/١٩٠٧ .

الحديث (الحلبية) / نيسان (ابريل) ١٩٣٨ .

النور / ١١ صفر / ١٤٠٧ هـ (١٥ اكتوبر / ١٩٨٦) .

الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ .

Journol Of Asiatic Royal Society, July 1925, & July 1927.

للمؤلف

١ — الترجمة من الانجليزية — منهج جديد .

٢ — فى الشعر الاسلامى والاموى — تحليل وتذوق .

٣ — فى الشعر العباسى — تحليل وتذوق .

٤ — فى الشعر الاندلسى — تحليل وتذوق .

٥ — فى الشعر العربى الحديث — تحليل وتذوق .

٦ — فصول من النقد القصصى — رؤية جديدة .

٧ — من اعلام النقد القصصى (بالإنجليزية) .

٨ — المستشرقون والقرآن .

٩ — مصدر القرآن — دراسة فى الاعجاز النفسى .

١٠ — من الطبرى الى سيد قطب — دراسة فى مناهج التفسير ومذاهبه .

١١ — تفسير سورة المائدة .

١٢ — تفسير سورة التوبة .

١٣ — محمود طاهر لاشين .

١٤ — نقد القصة فى مصر .

١٥ — Novel - Criticism in Eygpt

١٦ — المتنبى — دراسة جديدة لحياته وشخصيته .

١٧ — معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين — بحث موضوعى مفصل .

فهـــــرست

رقم الايداع بدار الكتب ٨٧/٢٩٣٥

مطبعة الفجر الجديد

٢٨ شارع الكبارى — منشية ناصر